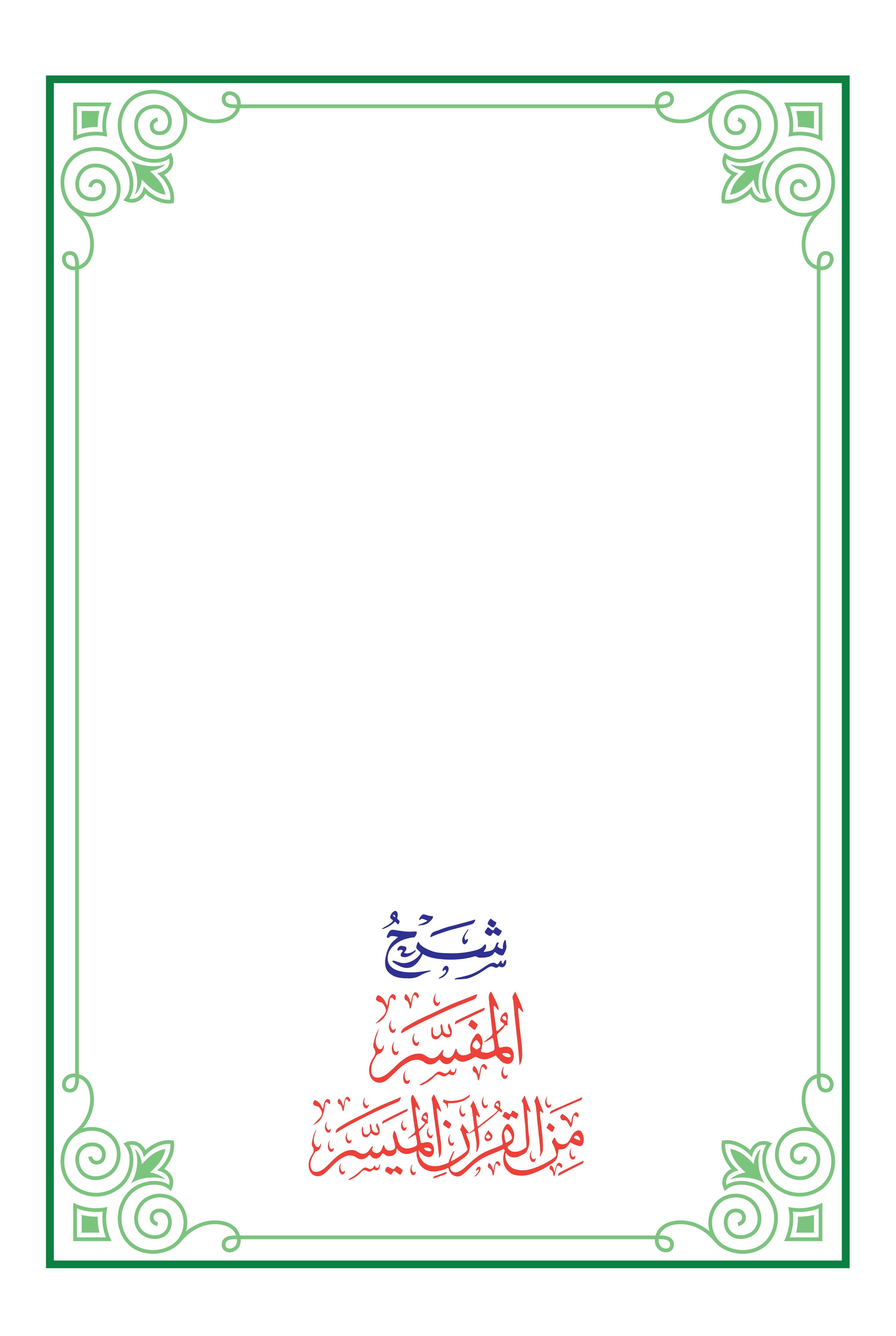

٤٤
سلسلة شروح وتقريرات فضيلة الشيخ
شرح
المفسر
من القرآن الميسر
منقول من الشرح الصوتي لمعالي الشيخ الدكتور
صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي
عضو هيئة كبار العلماء والمدرس بالحرمين الشريفين
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين
النسخة الأولى
الكتاب الثاني
٢
السنة الأولى
١٤٣٦

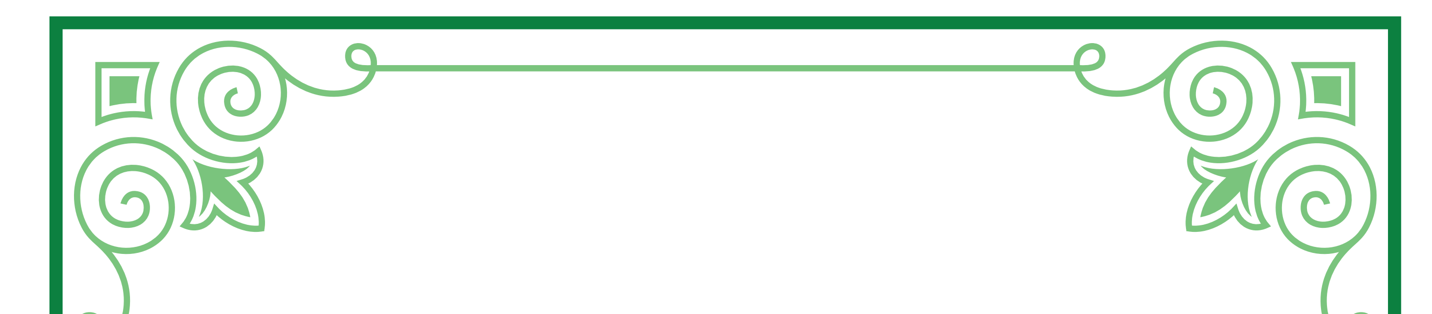


سلسلة شروح وتطريزات فضيلة الشيخ (٤٤)
شرح
المفسر من القرآن الميسر
منقول من الشرح الصوتي لمعالي الشيخ الدكتور
صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي
عضو هيئة كبار العلماء والمدرس بالحرمين الشريفين
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين
النسخة الأولى



شرح

المفسر من القرآن الميسر



بسم الله الرحمن الرحيم




للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يُرجىٰ المراسلة علىٰ البريد التالي: Abdellahdj24@gmail.com




الحمد لله الَّذي شرع الحجَّ وجعل فيه منافعْ، وجعلَ العلمَ منها أنْفَعَ النَّافِعْ، وأشهد ألَّا إله إلَّا الله وحده لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما نُفِع الحُجَّاجْ، وعلىٰ آله وصحبه صفوةِ رَكْبِ الحاجْ.

أمَّا بعدُ:

فَهٰذَا شَرْح (**الكتاب الثَّاني**) مِنْ برنَامجِ (**منافعِ العلمِ**) في (**سنتِهِ الأولى**)؛ ستٍّ وثلاثينَ وأربعمائةٍ وألفٍ، وهو كتابُ «**المُفسَّر مِن القرآنِ المُيسَّر**»، لمُصنِّفه صالحِ بنِ عبد اللهِ بنِ حمدٍ العصيميِّ.





قَال المُصَنِّفُ وفَّقَهُ اللهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّنا، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ علىٰ عبدهِ ورسولِهِ محمَّدٍ نبيِّنَا، وعلىٰ آلهِ وصحْبِهِ ومَنْ مِنَ الهُداةِ بَيَّنَا.

أمَّا بعدُ:

فهٰذهِ نُبذةٌ مُيسَّره، تَحْوِي جُملةً مِن سُوَرِ القرآنِ وآياتهِ المُفسَّره، هيَ مِن أَكْثَرِهِ علىٰ الألْسِنَةِ دَوَرَانًا، وأَجْدَرِهِ بالعِنايةِ إيضاحًا وتِبْيانًا، فَفِيها مِن جوامِعِ القرآنِ تواليًا: سُورةُ الفاتحةِ، وآيةُ الكرسِيِّ، والآيتانِ مِن آخرِ سورةِ البقَرَةِ، وسُورةُ الكافرون، وسُورةُ الإخلاصِ، والمعوِّذتَانِ.

قَال الشَّارحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ابتدأ المصنِّف - وفَّقه الله - كتابَهُ بالبسْملةِ، ثُمَّ أردَفَهَا الحمدلةَ، ثمَّ ثلَّثَ بالصَّلاةِ والسَّلامِ (علىٰ عبدهِ ورسولِهِ محمَّدٍ)، (وَعلَىٰ آلهِ وصحْبِهِ ومَنْ مِنَ الهُداةِ بَيَّنَا).

والهُداةُ جَمْعُ هادٍ، و(**الهَادِي منَ الخَلقِ**) هوَ المُبيِّنُ المُرشِدُ.

وذِكرُ (البَيَانِ) وَصْفًا للهُداةِ إعلَامٌ بانْحِصَارِ هِدَايتِهمْ فِي التَّبيينِ والإرْشَادِ.

فَإنَّ الهِدَايةَ نوعَانِ:

- **أَحدُهمَا**: **هِدايةُ تَوفيقٍ وسَدادٍ**؛ وهذهِ للهِ وحدهُ.

- **وَالآخر: هِدايةُ بَيانٍ وإرشادٍ**؛ وهذهِ لنبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولِكُلِّ مَنْ هَيَّأَ اللهُ لهُ أَسْبابَ إرشَادِ الخَلقِ وتَعليمِهمْ.

ثُمَّ ذَكَرَ المُصَنِّفُ أنَّ المذْكورَ فِي الكتَابِ (نُبذةٌ مُيسَّره)، **والنُّبْذةُ**: اسمٌ لِمَا قَلَّ، وهِيَ مَوصُوفَةٌ بالتَّيسيرِ - أيِ السُّهولةِ -؛ لِمَا فيهِ مِن كَمالِ النَّفعِ، فَإنَّ الشَّيءَ إذَا يُسِّرَ عَظُمَ نَفعُهُ، وإذَا عُسِّرَ قلَّ نفعُهُ، والشَّرعُ مَبنِيٌّ عَلَىٰ اليُسرِ، قَالَ تعالَىٰ: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ [الحج:٧٨]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ**». رواهُ البخاريُّ مِن حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ثُمَّ بيَّنَ أنَّ هذهِ النُّبذةَ (تَحْوِي جُملةً مِن سُورِ القرآنِ وآياتِهِ المُفسَّره)، **واختَصَّتْ هذهِ النُّبذةُ بأَمرينِ**:

أَحدُهما: أنَّها مِن أكْثرِ القرآنِ (علىٰ الألْسِنةِ دوَرَانًا)؛ فإنَّ السُّوَرَ والآياتِ المَذْكورةَ فِي هذَا الكِتابِ مِمَّا يَتكَرَّرُ العَمَلُ بهِ فِي اليوم واللَّيْلةِ.

والآخرُ: أنَّ تِلْكَ السُّورَ وَالآياتِ هيَ أَجْدرُ القُرآنِ (بالعِنايةِ إِيضَاحًا وتِبْيانًا)؛ لأَنَّ مَا كثُرَ عَلَىٰ اللِّسَانِ جَرَيَانُهُ احْتَاجَتِ النُّفوسُ إلَىٰ الاعتِنَاءِ بِبيَانِهِ، فَأَوْلَىٰ مَا يَتفَهَّمُهُ الإنسَانُ ويُدرِكُ مَعَانيَهُ وحَقَائِقَهُ هوَ مَا يَجرِي بهِ لِسَانُهُ مَرَّةً بعدَ مرَّةٍ.

ثُمَّ أفْصحَ عَنْ **مَضْمُونِ الكتَابِ**، فقَالَ: (فَفِيها مِن جوامِعِ القرآنِ تَوالِيًا: سورةُ الفاتحةِ، وآيةُ الكرسِيِّ، والآيتانِ مِن آخرِ سورةِ البقَرَةِ، وسورةُ الكافرونَ، وسُورةُ الإِخلَاصِ، والمُعَوِّذتَانِ)؛ **فَمَضَامينُ هذهِ النُّبذةِ المُيسَّرَةِ نَوْعَانِ**:

أحدُهُمَا: **سُوَرٌ تامَّةٌ**؛ وَهيَ خَمسُ سُورٍ: «الفَاتِحةُ»، و«الكَافرونَ»، و«الإخلَاصُ»، و«الفَلَقُ»، و«النَّاسُ».

وشُهِرتِ الأخيرتانِ باسمِ (المُعوِّذتَينِ)؛ لِمَا فيهِمَا مِنَ التَّعوُّذِ باللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فَكُلُّ سُورَةٍ مِنهُمَا عُوذَةٌ يُتَعَوَّذُ بِهَا.

والآخرُ: آياتٌ مُخْتَارةٌ مِنْ «سُورةِ البَقَرةِ»؛ لِجَلَالَةِ قَدْرِ تِلكَ الآيَاتِ وَعَظَمَةِ شَأْنِهَا، وهِيَ ثَلَاثُ آيَاتٍ: «آيةُ الكُرْسِيِّ»، و«الآيتَانِ مِن آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ».



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

تَفسيرُ
سورة الفاتحةِ

عَنْ أَبِي سَعِيدِ ابْنِ المُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فَدَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللهُ**: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ**»، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِنَّكَ قُلْتَ: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ**»، قَالَ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١﴾ [الفاتحة]، **هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**». رواهُ البُخارِيُّ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ العَبْدُ**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١﴾، **قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ**: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾، **قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ**: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣﴾، **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي -، فَإِذَا قَالَ**: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٤﴾، **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ**: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝٦ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**». رواهُ مسلمٌ.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٤ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة].

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ أَقْرَأُ القرآنَ؛ فمَقْصُودُ المُبسمِلِ في فَاتِحةِ القِراءةِ هُوَ بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ أقرأُ.

والاسمُ الأحسنُ (اللهُ) عَلَمٌ على ربِّنَا عَزَّوَجَلَّ، ومعناهُ: المَألوهُ المُستَحِقُّ لإفرادِهِ بالعبَادَةِ.

و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: اسمانِ من أسمائِهِ تَعَالَى دَالَّانِ علَىٰ رَحمتِه؛ فأَوَّلُهمَا دالٌّ عليهَا حَالَ تعلُّقِهَا بِهِ فِي سَعَتِهَا، والآخرُ دَالٌّ عليهَا حالَ تعلُّقِها بالخَلقِ في وُصولِهَا إليهِمْ.

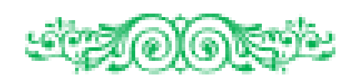
وأوَّلُ هذهِ السُّورَة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١﴾؛ فالحمدُ هوَ الإخبارُ عنْ مَحَاسِنِ المَحمُودِ معَ حُبِّه وتعظِيمِهِ، و﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: اسْمٌ إضَافِيٌّ، فَالرَّبُّ في كَلَامِ العَربِ: المَالكُ والسَّيِّدُ والمُصلحُ للشَّيءِ، والعَالَمينَ جَمعُ عَالَمٍ، وهوَ اسمٌ للأفرادِ المتجانسةِ منَ المخلُوقاتِ، فَكُلُّ جِنسٍ منهَا يُطلَقُ عَلَيهِ عَالَمٌ، فيُقالُ: عَالَمُ الإنسِ، وعَالَمُ الجِنِّ، وعَالَمُ المَلَائِكَةِ.

وَرُبُوبيَّتُهُ عَزَّوَجَلَّ لَمْ تُنتِجْ ظُلْمًا؛ بَلْ مَضْمُونُهَا العِنَايةُ بالخَلقِ ورَحمتُهُمْ، وَلِهذَا وَصَفَ نفسَهُ بقَولِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾، فَهوَ رَحْمٰنٌ وَسِعَتْ رَحمَتُهُ جَميعَ الخَلقِ، رَحيمٌ يُوصِلُ رَحمَتَهُ إلَيهِمْ.

ثـمَّ أكَّـدَ رُبُوبِيَّتَـهُ بقولـه: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٣ ﴾، وهُـوَ يـومُ الحِسَـابِ والجَـزَاءِ عـلَىٰ الأعـمَالِ الَّـذِي قـال اللهُ تعـالَىٰ فيـهِ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾ [الانفطار]، وهُـوَ يـومُ القيَامَةِ، وَخَصَّهُ بالذِّكْرِ لأنَّهُ يَظْهَرُ فيهِ للخلقِ كَمَالُ مُلْكِ اللهِ تَمَامَ الظُّهورِ؛ لانقطَاعِ أمْلَاكِ الخَلَائِقِ؛ وَإلَّا فهُوَ مَالكُ يَومِ الدِّينِ وغيرِهِ منَ الأيَّامِ.

وقولُهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٤﴾؛ أي نَخُصُّكَ وَحدَكَ بالعبادَة، ونَسْتَعِينُ بِكَ وَحدَكَ في جَميعِ أُمُورِنَا، وعبَادةُ اللهِ: تألُّهُ القَلبِ لَهُ بالحُبِّ والخُضُوعِ، والمَأمُورُ بهِ فيهَا امتثَالُ خطَابِ الشَّرعِ، والاسْتعَانةُ بـهِ هي طَلَبُ العبدِ العونَ مِنْهُ في الوُصولِ إلَىٰ المَقْصودِ.

ثُمَّ قالَ تعالَىٰ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٥﴾؛ أي دُلَّنَا وأرشِدْنَا إليه، وثَبِّتْنَا عَلَيهِ حَتَّىٰ نَلقَاكَ وهُوالإِسْلَامُ، ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ۝٦ ﴾ المُتَّبِعِينَ للإسلامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ﴿ غَيۡرِ ﴾ صراط ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ الَّذينَ عَرَفُوا الحَقَّ وَلَمْ يَعمَلُوا به، وَهمُ اليهودُ، ومَنْ عَدَلَ عَنِ الصِّراطِ المُسْتقيمِ مِن هذهِ الأُمَّةِ عَن عِلمٍ فَفِيهِ شَبهٌ مِنهمْ، ﴿وَلَا ﴾ صراط ﴿ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ الَّذينَ تَرَكُوا الحَقَّ عَنْ جهلٍ فَلَمْ يَهتَدُوا وضَلُّوا الطَّرِيقَ، وهُمُ النَّصارَىٰ، ومَنْ عَدَلَ عنِ الصِّراطِ المُسْتقيمِ مِن هذهِ الأُمَّةِ عنْ جَهْلٍ فَفِيهِ شَبهٌ مِنهمْ.



قَالَ الشَّارِحُ وفّقه اللهُ:

ذَكَرَ المُصَنِّفُ - وَفَّقَهُ الله - فِي هذهِ الجُملَةِ (**تَفسيرَ سُورةِ الفَاتحةِ**).

وابتَدَأَ تَفسيرَ السُّورَةِ بذكرِ فَضْلِهَا؛ لأنَّ تَقديمَ فَضْلِ الشَّيءِ يَحمِلُ النُّفوسَ عَلَىٰ التَّشَوُّفِ إلَيهِ.

وَذَكَرَ فِي فَضلِهَا حَديثينِ:

فَالحَدِيثُ الأَوَّلُ: حَدِيثُ (أَبِي سَعِيدِ ابْنِ المُعَلَّىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ)؛ أَنَّهُ (قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فَدَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ...) الحديث.

ودِلالَتُهُ علَىٰ فَضلِ «الفَاتِحةِ» مِنْ ثَلَاثةِ وجوهٍ:

* **أَوَّلُهَا**: فِي قَولِهِ: («**أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ**»)، ثُمَّ قَالَ: («﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١﴾ [الفاتحة]»)؛ فَـ«سُورةُ الفَاتِحةِ» هيَ أَعظمُ سُورِ القرآنِ.

* **وثَانيهَا**: فِي قَولهِ: («**هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي**»)؛ فَمِنْ فَضلِ «الفَاتِحةِ» اتِّصَافُهَا بِكَونِهَا «السَّبعَ المَثَانِي».

وَالتَّسْبيعُ مَرَدُّهُ إلَىٰ عَدَدِ آيَاتِهَا؛ فإنَّ آيَاتِ «الفَاتِحةِ» سَبْعٌ، لَمْ يَخْتَلفِ العَادُّونَ فيهَا، لكِنِ اختلَفُوا فِي مَوضعِ العَدِّ مِنْ آيَاتِهَا.

وَمَعْنَىٰ (المَثَانِي): الَّتي تُثَنَّىٰ مَرَّةً بَعدَ مرَّةٍ.

وتَثنِيةُ «الفَاتِحةِ» نَوْعَانِ:

- **أَحدُهُمَا: تَثنِيةٌ تَتَعَلَّقُ بالمَبَانِي** - أيْ بِكَلمَاتِهَا -؛ إذْ تَتَوالَىٰ بَعضُهَا بَعدَ بَعضٍ مَقْرُوءةً فِي الصَّلاةِ.

- **والآخَرُ: تَثنِيةٌ تَتَعلَّقُ بالمَعَانِي**؛ لِمَا فيهَا مِنْ رَدِّ أَنواعٍ مُختَلِفَةٍ مِنَ المَعَانِي بَعضِهَا عَلَىٰ بَعضٍ.

فقولُهُ: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ و﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ مِن صِفَاتِ الجَلَالِ للهِ.

وقولُهُ: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ مِن صِفَاتِ الجَمَالِ للهِ.

وصَدْرُ السُّورةِ إِلَىٰ قولِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هُوَ للهِ.

وآخِرُهَا مِنْ قَولِهِ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إِلَىٰ تَمَامِهَا هوَ للعبدِ.

* **وثَالِثُهَا**: فِي قَولِهِ: («**وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»)، **واخْتُلِفَ فِي تَفسِيرِ هذهِ الجُملةِ عَلَىٰ قولَينِ**:

- **أحدُهُمَا**: أنَّ «القرآنَ العظيمَ» وَصْفٌ لِلفَاتِحةِ، مَعنَاهُ: (المَقْرُوءُ العَظِيمُ)؛ فأَعظمُ مَقرُوءٍ فِي القُرآنِ هُوَ «سُورةُ الفَاتِحةِ».
- **والآخرُ**: أنَّ «القُرآنَ العَظِيمَ» وَصفٌ للكتَابِ كُلِّهِ الَّذِي أُوتِيَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَعلَىٰ الأوَّلِ: يَكُونُ وَصْفًا للفَاتِحةِ بَعدَ وَصفٍ.

وَعلَىٰ الثَّانِي: يَكونُ مِنْ عَطفِ العَامِّ علَىٰ الخَاصِّ.

والحَدِيثُ الثَّانِي: حَدِيثُ (أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)؛ أَنَّهُ (قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ...**») الحَدِيثَ.

وَدِلالَتُهُ علَىٰ فَضلِ «الفَاتِحةِ»: فِي قَولِ اللهِ تَعالَىٰ: («**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ**»)، مِنْ وَجهَينِ:

* **أَحدُهُمَا**: فِي تَسمِيَةِ «الفَاتِحةِ» صَلَاةً؛ بجَعلِ (الجُزْءِ) اسمًا لِجَميعِ الأَقوالِ

والأفْعالِ فِي الصَّلاةِ تَعظيمًا لَهُ؛ فتَقديرُ الحَديثِ: (قَسَمْتُ الفاتحةَ بَيْنِي وبَيْنَ عبدِي نِصفينِ).

* **والآخرُ**: فِي قَولِهِ: («بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ»)، فمِنْ فضْلِ «الفَاتِحةِ»: أنَّ اللهَ جَمَعَ فيهَا بَيْنَ الحقِّ والفَضْلِ:

- فحَقُّهُ سُبحانَهُ فِي قَولِهِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة].
- وفَضْلُهُ سُبحانَهُ فِي قولِهِ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٤ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝٦ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة].

ثمَّ شَرَعَ المُصنِّفُ يُفسِّرُ مَعانِي «الفَاتِحةِ» علَىٰ مَا يُناسِبُ المقامَ؛ فقَالَ: (﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ أَقْرَأُ القرآنَ؛ فمَقْصُودُ المُبسمِلِ فِي فَاتِحةِ القِراءةِ هُوَ بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ أقرأُ)؛ أي أشرعُ فِي القِرَاءَةِ مُتَلبِّسًا باسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم.

والفِعلُ المُقَدَّرُ فِي مُتعلَّقِ الجَارِّ والمَجْرورِ في قَولِهِ: (﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾) هُوَ (أَقرَأُ)؛ لمُنَاسَبَتِهِ المَقَامَ، فَإنَّ المُبَسْمِلَ بَيْنَ يَدَيِ «الفَاتِحةِ» يُريدُ مُلَابَسَتَهُ ذِكْرَ اسْمِ اللهِ لِاسْتفتاحِ القِرَاءَةِ.

ثمَّ ذَكَرَ المُصَنِّفُ أنَّ (الاسْمَ الأحْسَنَ (اللهُ) عَلَمٌ علىٰ ربِّنا عَزَّوَجَلَّ)؛ فَلَا يُسَمَّىٰ بِهِ غيرُهُ.

والأسْماءُ الإلهيَّةُ وَقَعَ وصفُهَا في خطابِ الشَّرعِ بثَلاثةِ أوصافٍ:

- **أحدُهَا**: الأحسنُ، في قولِهِ تعالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠]، فَـ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: فُعْلَىٰ مِنَ الحُسْنِ، والتَّأنيثُ مُناسِبٌ للجمعِ، والوَاحدُ مِنهَا يُقالُ لَهُ:

الاسمُ الأحسنُ.

- **وثَانيهَا**: الاسمُ الأجلُّ.
- **وثالِثُهَا**: الاسمُ الأكْرمُ.

وهذانِ في قَولِهِ تَعالَىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾ [الرَّحمٰن]، في قِرَاءةِ ابنِ عامرٍ الشَّاميِّ؛ فـ(الجَلَالُ) و(الإكرامُ) فِي قراءتِهِ صِفةٌ لِلاسْمِ الإلهيِّ.

وهذِهِ الأَوصَافُ الثَّلاثةُ هيَ الوَارِدَةُ في خِطَابِ الشَّرعِ؛ فَأَسْعَدُ النَّاسِ بالخَبَرِ عَنِ اللهِ هُمْ مَنْ أَخْبَرَ عَنهُ بمَا أَخبرَ بِهِ عن نَفسهِ أوْ أَخبرَ به رسولُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا عدَا هذَا فَلَا يَخلُو مِنْ مُنَازَعَةٍ شَرعيَّةٍ أوْ لُغويَّةٍ، ولِبَسْطِهِ مَوضعٌ آخرُ.

ثمَّ بيَّنَ معنَىٰ(اللهِ)، فقالَ: (ومعناهُ: المَألوهُ المُستَحِقُّ لإفرادِهِ بالعبَادَةِ)؛ أَي مَنْ تَأَلَّهُهُ القلوبُ بالحُبِّ والخُضوعِ.

وتَوَجُّهُ القلوبِ إِلَيهِ لاستحقاقِهِ وَحْدَهُ العبَادَةَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [لقمان:٣٠]، وقالَ تعالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحجُّ:٦٢]، وقالَ تعالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [الحجُّ:٦].

ثمَّ بيَّنَ معنَىٰ (﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾)، فقالَ: (اسْمَانِ من أسمائِهِ تعالَىٰ دَالَّانِ علَىٰ رحمتِهِ...) إِلَىٰ آخرِ مَا ذكرَ.

فالاسْمَانِ (الرَّحمٰنِ) و(الرَّحيمِ) يَشْتَرِكانِ فِي الدِّلالةِ علىٰ صِفةِ (الرَّحمةِ)، ويَفترَقانِ فِي كَيفيَّةِ الدِّلالةِ عَليهَا.

- فَاسمُ (الرَّحمٰنِ) يَدُلُّ (عليهَا حَالَ تعلُّقِهَا بِهِ) - أَي بذَاتِهِ - (فِي سَعَتِهَا).

- وَاسمُ (الرَّحيمِ) يَدُلُّ (عَلَيهَا حَالَ تعلُّقِها بالخَلقِ فِي وُصُولِهَا إليهِمْ).

قَالَ اللهُ فِي الأوَّلِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

وَقَالَ فِي الثَّاني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾ [البقرة].

وهذَا أَحْسنُ مَا قيلَ فِي الفَرقِ بَيْنهُمَا، وهُوَ اختيارُ أَبِي عَبدِ اللهِ ابنِ القيِّمِ فِي «بدائعِ الفوائدِ»، وأَشَرْتُ إليهِ بقَولِي:

وَرَحْمَةٌ للهِ مَهْمَا عُلِّقَتْ ... بِذَاتِهِ فَالاسْمُ (رَحْمَنٌ) ثَبَتْ
أَوْ عُلِّقَتْ بِخَلْقِهِ الَّذِي رَحِمْ ... فَسَمِّهِ (الرَّحِيمَ) فَازَ مَنْ سَلِمْ

ثمَّ ذَكَرَ أَنَّ (أوَّلَ هذهِ السُّورَة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١﴾)، وَهُوَ مَصِيرٌ مِنهُ إِلَىٰ مُخَالَفَةِ العَدِّ المَشْهورِ فِي روايةِ حفصٍ، وهُوَ عَدُّ الكوفيِّينَ الَّذينَ يعُدُّونَ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آيةً مِنَ «الفَاتِحةِ».

وعَلَىٰ القَولِ الثَّانِي: يَكونُ مُبتَدأُ العَدِّ مِنْ قولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١﴾، ثُمَّ تُجعلُ الآيةُ السَّادسَةُ آيَتينِ؛ مُنتَهَىٰ الأُولَىٰ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝٦﴾ فتَكُونُ السَّادسَةَ، ثُمَّ تكُونُ السَّابعةُ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

ثُمَّ بيَّنَ مَعْنَىٰ (**الحمدِ**)، فقَالَ: (هوَ الإخْبَارُ عنْ مَحَاسِنِ المَحمُودِ معَ حُبِّه وتعظِيمِهِ)؛

فَمَدَارُ الحَمْدِ علَىٰ أمرَينِ:

- **أَحدُهُمَا**: الإِخبَارُ عنْ مَحَاسِنِ المَحمُودِ.
- **والآخرُ**: اقتِرَانُ الإخبَارِ بالحُبِّ والتَّعظِيمِ.

ثـمَّ بَـيَّنَ أنَّ قولَـهُ: (﴿رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾: اسـمٌ إضَـافِيٌّ)؛ **فَالأَسْـماءُ الإلهيَّـةُ بِاعتبـارِ الإفرادِ والإضَافةِ نَوعانِ:**

- **أَحدُهُما: أَسْماءٌ إلهيَّةٌ مُفرَدَةٌ**؛ مثلُ: اللهِ، والرَّحمٰنِ، والرَّحيم.
- **والآخَرُ: أَسْـماءٌ إلهيَّـةٌ مُضَـافَةٌ**؛ مثـلُ: ربِّ العـالمينَ، وَمالـكِ المُلـكِ، وعـالِم الغيبِ والشَّهادةِ.

ذكرَهُ ابنُ تيميَّةَ في «الفتاوىٰ المِصريَّةِ»، وشَيخُنَا ابنُ بازٍ في بَعضِ أَجوبتِهِ.

فاسمُ (ربِّ العالمينَ) منَ الأسماءِ المُضَافةِ.

وَبِهِ يُدعَىٰ، وَقَـدْ نَقَـلَ ابْـنُ تَيميَّـةَ الحَفيـدُ إِجْمَـاعَ المُسـلمينَ علَـىٰ دُعـاءِ اللهِ بالأَسْـماءِ المُضافةِ.

ثمَّ ذَكَرَ أنَّ (الرَّبَّ فِي كَلَامِ العربِ: المالكُ، والسيِّدُ، والمُصلِحُ للشَّيءِ)؛ فَمَدَارُهُ عَلَىٰ هذهِ المَعَانِي الثَّلَاثةِ؛ ذَكَرَهُ ابنُ الأنْبارِيِّ وغيْرُهُ.

ومَا يُوجَدُ فـي كَلَامِ جَمَاعَةٍ مِنَ المُتَأَخِّرينَ مِنَ الزِّيادةِ عَلَيْهَـا - حَتَّىٰ بلَّغَهَـا أَحمـدُ بـنُ أَحْمدَ السُّجَاعِيُّ الأَزْهرِيُّ ثَلاثينَ معنًى - كُلُّهُ مِمَّا يُرَدُّ إِلىٰ هٰـذِهِ المَعـانِي الثَّلاثـةِ، وإِليْهَـا أَشَرْتُ بقَولِي:

سَيِّدُهُـمْ وَمَالِـكٌ وَالْمُصْلِـحُ　　لِلـــرَّبِّ مَعْنًـىٰ فِـي اللِّسَـانِ

ثمَّ ذَكرَ أنَّ (العَـالَمِينَ جَمْـعُ عَـالَمٍ، وهـوَ اسـمٌ للأَفـرَادِ المُتَجَانِسـةِ مِـنَ المخلُوقَـاتِ)، و(**الأَفرادُ المُتَجَانِسَةُ**) هيَ الأَفرادُ المشتركةُ فِي جنسٍ واحدٍ.

قالَ: (فَكلُّ جِنسٍ منهَـا يُطلَـقُ عَلَيـهِ عَـالَمٌ، فيُقالُ: عَالَمُ الإنسِ، وعَالَمُ الجِـنِّ، وعَـالَمُ المَلَائِكَةِ)، وإِذَا لـمْ تَنْتَظِمْ تِلْكَ الأفرادُ فِي جِنْسٍ لـمْ تُسَـمَّ (عَالَمًـا)، ومِـنْ مخلوقـاتِ اللهِ

أفرادٌ لَا عالمَ لهَا؛ كالعرشِ والكُرْسِيِّ الإلهيَّيْنِ، والجَنَّةِ والنَّارِ.

فمَخلُوقاتُ اللهِ نَوعانِ:

- **أَحدُهمَا: مَخلُوقَاتٌ مُتجَانِسَةٌ**، يُسمَّىٰ كُلُّ واحدٍ مِنهَا (عَالَمًا)؛ كَالإنسِ والجِنِّ والمَلَائِكةِ
- **والآخرُ: مَخلُوقاتٌ أَفْرَادٌ**؛ كَالعَرْشِ والكُرْسِيِّ والجَنَّةِ والنَّارِ.

وَطَرِيقُ الحُكْمِ علَىٰ مَخلُوقَاتٍ مَا بِالاشْتراكِ فِي الجِنْسِ أَوِ الانفِرَادِ هُوَ اللِّسانُ العربيُّ، لَا المُوَاضَعَاتُ الاصْطِلَاحِيَّةُ المتأخِّرةُ؛ فَمَنْ يقُولُ: (إنَّ تلكَ الأَفرَادَ المَذكُورَةَ أَفرَادًا - وَهيَ الكُرسيُّ والعرشُ والجَنَّةُ والنَّارُ - يَجمَعُهَا معَ غَيرِهَا: عَالَمُ الجَمَادِ) لَا يُوَافِقُ الوَضْعَ اللُّغوِيَّ، وَإِنَّمَا يَجرِي عَلَىٰ المُوَاضَعَاتِ الاصْطِلَاحِيَّةِ المُتأخِّرةِ، وَصِفاتُ الحَياةِ وعَدمِهَا تَجرِي فِي خِطابِ الشَّرعِ عَلَىٰ غَيرِ مَا عليهِ علماءُ المَعرفةِ الحَدِيثةِ، فإنَّ هؤُلَاءِ يَزعُمونَ أنَّ الأحجَارَ وَالأشجَارَ مَسلُوبةُ الإرَادةِ فلَا يَصدُرُ منهَا فعلٌ، وهذَا خِلافُ مَا فِي القرآنِ، فإنَّ اللهَ أضَافَ إلىٰ أَشياءَ مِمَّا يُسمِّيهَا هؤلاءِ بالجَمَاداتِ، أضافَ إليهَا صِفاتٍ للحياةِ؛ فقالَ فِي جدارِ موسَىٰ والخَضِرِ: ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ [الكهف:٧٧]، فِي نظائرَ أُخرَىٰ فِي القرآنِ الكريمِ.

وَمِنَ الغلطِ الجَارِي: تَفسِيرُ الحَقَائقِ الشَّرعيَّةِ بالمُواضعاتِ الاصْطِلاحيَّةِ المُتأخِّرةِ، والعُدُولُ عنْ وَضعِ الشَّرعِ واللِّسانِ العَرَبيّ.

كَالَّذِي يُفسِّرُ القرآنَ، فإذَا أتَىٰ إلَىٰ ذِكرِ الكَوْكَبِ والنَّجمِ قالَ: (والفرقُ بينَهُمَا أنَّ الكَوْكَبَ جُرمٌ مُعْتِمٌ، والنَّجمَ جُرمٌ مُضِيءٌ)، فإنَّ هذَا الفَرْقَ لا يَجرِي وَفقَ لِسَانِ العَرَبِ وَلَا خطَابِ الشَّرعِ، وَإِنَّمَا هُوَ مُوَاضَعَةٌ اصْطِلاحيَّةٌ مُتأخِّرةٌ لأَهْلِ الهَيْئةِ الحَدِيثةِ فِي عِلْمِ الفَلَكِ.

ومِنْ قَواعدِ بَيَانِ الخِطَابِ الشَّرعيِّ: أنَّ الخِطَابَ الشَّرعيَّ لَا يُفسَّرُ بالمُصْطَلَحِ الحَادِثِ؛ ذَكَرَهُ ابنُ تَيْميَّةَ الحَفِيدُ وغيرُهُ.

ثَمَّ بيَّنَ المُصنِّفُ أنَّ رُبُوبيَّةَ اللهِ (لَمْ تُنتِجْ ظُلْمًا؛ بَلْ مَضْمُونُهَا العِنَايَةُ بالخَلقِ ورحمَتُهُمْ، وَلِهذَا وَصَفَ نفسَهُ بقولِهِ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾، فَهوَ رَحْمٰنٌ وَسِعَتْ رَحمَتُهُ جَمِيعَ الخَلقِ، رَحيمٌ يُوصِلُ رَحمَتَهُ إلَيهِمْ)؛ فإنَّ اللهَ لَمَّا ذَكَرَ فِي صَدْرِ السُّورةِ عُمُومَ رَحْمتِهِ لِلعَالَمِينَ فِي قَولِهِ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١﴾ - المُتضَمِّنَةِ كَمَالَ قُدرَتِهِ، وَشِدَّةَ بَأسِهِ، وَتَمَامَ مُلكِهِ -؛ أَرْدَفَهَا بقَولِهِ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾؛ لِيُعلَمَ أَنَّ رُبُوبيَّتَهُ التَّامَّةَ لَمْ تُنتِجْ ظُلْمًا، بَلْ حَقِيقَتُهَا العِنايَةُ بالخَلقِ ورَحمتُهُمْ؛ فَإنَّهُ سُمِّيَ (رَبًّا) لِمَا يَغذُو بِهِ الخَلقَ مِنَ النِّعمِ، ويُحيطُهمْ بِهِ مِنَ العنايةِ، ويَجعلُهُمْ فيهِ مِنَ الصِّيانَةِ.

قالَ: (ثمَّ أكَّدَ رُبُوبيَّتَهُ بقولِه: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٣﴾، وهُوَ يومُ الحِسَابِ والجَزَاءِ علَىٰ الأعمَالِ)، وتَفسيرُهُ فِي قولِهِ تعالَىٰ: (﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [الانفطار]، وهُوَ يومُ القيامَةِ).

والدِّينُ مُركَّبٌ مِنْ أمرينِ:

- **أحدُهُمَا**: الحِسَابُ، وَهُوَ مُقدِّمتُهُ.
- **والآخرُ**: الجزاءُ، وَهُوَ خاتِمتُهُ.

ثُمَّ ذَكَرَ المُصَنِّفُ أنَّ اللهَ خَصَّ يومَ القيامةِ (بِالذِّكْرِ لأنَّهُ يَظهرُ فيهِ للخلقِ كمالُ مُلكِ اللهِ تَمامَ الظُّهورِ؛ لانقطَاعِ أمْلَاكِ الخَلَائِقِ)؛ فإنَّ الدُّنيَا دارُ ادِّعاءٍ لِأَنواعٍ مِنَ الأملَاكِ، فإذَا صارَ النَّاسُ إلَىٰ الآخرةِ انقطَعَتْ تِلكَ الأملاكُ، فَلَا مُلكَ إلَّا للهِ، ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ

لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر]، فِي آيٍ أُخَرَ تَدُلُّ انفرَادِهِ سُبحانَهُ بالمُلكِ يومَ القِيامةِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ (مَالِكُ يَومِ الدِّينِ وغيرِهِ منَ الأيَّامِ)، لكِنْ يَخْتَصُّ يومُ الدِّينِ بِتَجلِّي انْفرَادِه سُبحَانَهُ بِالمُلْكِ.

ثمَّ بيَّنَ معنَىٰ قولِهِ تعالَىٰ: (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ ﴾)، فقالَ: (أي نَخُصُّكَ وحدَكَ بالعبادَة، ونستعينُ بكَ وحدَكَ في جميعِ أُمورِنا)، وإفرَادُهُ سُبحَانَهُ بِهذَين مُسْتَفَادٌ منْ تقديمِ مَا حَقُّهُ التَّأخيرُ، فتقديرُ الكَلَامِ: (نَعبدُ إيَّاكَ ونَستعينُ بِكَ)، فَلمَّا قِيلَ فِي الآيةِ: (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ ﴾) استُفِيدَ مِنْ هذَا الطَّريقِ تَخصِيصُهُ سُبحَانَهُ بالعبَادةِ والاستعَانةِ.

ثُمَّ بيَّنَ المُصنِّفُ مَعنَىٰ **العبَادَة**، فقَالَ: (وعبادةُ اللهِ: تألُّهُ القلبِ لَهُ بالحبِّ والخُضُوعِ)، فَتَوَجُّهُ القلْبِ إلَىٰ اللهِ مَحبَّةً وخُضُوعًا يُسَمَّىٰ (عبادةً).

(والمَأمورُ بِهَا) المُوافقُ للشَّرعِ الَّذِي تَصْدُقُ بِهِ الدَّعوىٰ فِي عبادةِ اللهِ: وُقُوعُهَا وَفْقَ (امتثَالِ خطَابِ الشَّرعِ).

فَـ(**العبادةُ**) **شرعًا** هيَ امتثالُ خطابِ الشَّرعِ المُقترِنُ بالحبِّ والخُضُوعِ.

وَهذَا هُوَ المَعنَىٰ العَامُّ للعبادةِ.

فالعبادةُ تُطلقُ فِي الشَّرعِ علَىٰ معنَيَيْنِ:

- **أحدهمَا: مَعنًىٰ عامٌّ**؛ وهُوَ امتثالُ خطابِ الشَّرعِ المُقتَرنُ بالحبِّ والخُضوعِ.
- **والآخرُ: مَعنًىٰ خاصٌّ**؛ وهُو التَّوحيدُ.

والمَعنَىٰ الخَاصُّ هوَ المُرادُ فِي خِطابِ الشَّرعِ عِندَ الإطلَاقِ، فَإذَا أُطلقَ اسْمُ (العبَادةِ) فِي الشَّرعِ فالمُرَادُ بِهِ تَوحيدُ اللهِ؛ قالَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كلُّ أمرٍ بالعبادة في

القرآنِ فهوَ التَّوحيدُ». ذَكَرَهُ البغويُّ فِي «تفسيرِهِ».

ثمَّ ذكَرَ المُصنِّفُ مَعنَىٰ (**الاستعانَةِ**)، فقَالَ: (والاستعانةُ بِهِ هيَ طَلَبُ العبدِ العونَ مِنْهُ فِي الوُصولِ إِلَىٰ المَقْصودِ)؛ والطَّلبُ مَدْلُولٌ عَليهِ بـ(الأَلِفِ والسِّينِ والتَّاءِ)، والعَونُ مُستفادٌ مِن اقترانِ (الألفِ والسِّينِ والتَّاءِ) به فِي اسْمِ (الاستعانَةِ)، والعبدُ يطلبُ العَونَ فِي الوصولِ إِلَىٰ مَقصُودِهِ.

ثمَّ بيَّنَ تَفسيرَ قَولِهِ تعالَىٰ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ۝٦ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، فقالَ: (ثُمَّ قالَ تَعالَىٰ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٥﴾؛ أي دُلَّنَا وأرشِدْنَا إليهِ، وثَبِّتْنَا عَليهِ حَتَّىٰ نَلقَاكَ).

فالهِدايةُ المَسْؤولَةُ مِنَ اللهِ إِلَىٰ الصِّراطِ المُستقيمِ نَوعَانِ:

- **إحدَاهُمَا**: هِدايةُ وُصولٍ إِليهِ.
- **والأُخرَىٰ**: هِدايةُ ثباتٍ عَلَيهِ.

فَالعَبدُ يسألُ رَبَّهُ سُبحانَهُ أَن يَهديَهُ الصِّراطَ المُستقيمَ بدِلَالَتِهِ وإِرشَادِهِ إِلَيهِ، وَيَسأَلُهُ أَيضًا في قولِهِ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٥﴾ أَنْ يُثَبِّتَهُ اللهُ عَلَيهِ حَتَّىٰ يَلقَاهُ.

ثمَّ فسَّرَ (**الصِّراطَ المُستقيمَ**)، فقَالَ: (وهُوَ الإِسْلَامُ)؛ لِحَديثِ النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ فِي حَديثٍ طَويلٍ: «**فَالصِّرَاطُ الإِسْلَامُ**». رَوَاهُ أحمدُ وإسنادُهُ حَسنٌ، وَهُوَ عندَ التِّرمذيِّ وابنِ مَاجَهْ بإِسنادٍ آخرَ ضعيفٍ.

ثُمَّ قَالَ: (﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ۝٦﴾ المُتَّبِعينَ للإِسلامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَأُضِيفَ (الصِّراطُ) إِلَيهِم لأَنَّهُم سَالكُوهُ؛ فهُمُ الَّذينَ شَرعُوا فيهِ، ونَقَّلُوا قُلُوبَهُم بَيْنَ مَنَازِلِهِ.

واسْتحقُّوا الإنعامَ مِنَ اللهِ لأنَّهُ هوَ صِراطُهُ الَّذِي رَضِيَهُ، قَالَ تعالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣].

فـ(الصِّراط المستقيم) وقع فِي القرآن إضافتُه علىٰ وجهين:

- **أَحدُهمَا**: إضَافَتُهُ إِلَىٰ اللهِ؛ كَقَولِهِ تعالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣].
- **والآخرُ**: إضافتُهُ إلَىٰ الخلقِ، فِي قولِهِ تعالَىٰ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝٦﴾ [الفاتحة].

والإضافتانِ تُصَدِّقُ إِحداهُمَا الأُخرَىٰ:

- فَإِضَافتُهُ إِلَىٰ اللهِ: باعتبَارِ كَونِهِ وَاضِعَهُ الَّذي شَرَعَهُ.
- وإِضَافتُهُ إِلَىٰ أَحدٍ منَ الخَلقِ: باعتبَارِ أَنَّهُ سَالِكُهُ الَّذِي أَخَذَ فيهِ.

ذَكَرَهُ أَبُو عبدِ اللهِ ابنُ القيِّمِ فِي «مَدارجِ السَّالكينَ».

ثُمَّ قَالَ: (﴿غَيْرِ﴾ صراط ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ الَّذينَ عَرَفُوا الحَقَّ وَلَمْ يَعمَلُوا بهِ، وَهمُ اليهودُ، ومَنْ عَدَلَ عَنِ الصِّراطِ المُسْتقيمِ مِن هذهِ الأُمَّةِ عَن عِلمٍ فَفِيهِ شَبهٌ مِنهمْ، ﴿وَلَا﴾ صراطَ ﴿ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ الَّذينَ تَرَكُوا الحَقَّ عَنْ جهلٍ...) إلىٰ آخرِ كلامِهِ.

فالخَارِجُونَ عَنِ الصِّراطِ المُستقيمِ نَوعَانِ:

- **أَحدُهمَا**: العَارفُونَ بالحَقِّ التَّاركُونَ العَمَلَ بِهِ.
- **وَالآخَرُ**: الجَاهلُونَ بالحَقِّ العَاملُونَ دُونَ عِلمٍ.

وَكُلُّ نوعٍ فيه طَائفَتَان:

فالنَّوعُ الأَوَّلُ - وهُمُ العَالِمُونَ التَّارِكُونَ للعملِ - **فيهِ طَائِفتانِ:**

❖ **الطَّائفةُ الأولَىٰ**: طَائِفةٌ أصْليَّةٌ؛ وهمُ اليهودُ.

❖ **والطَّائفةُ الثَّانيةُ**: طائفةٌ تَابِعَةٌ؛ وهُم (مَنْ عَدَلَ عنِ الصِّراطِ المُسْتقيمِ مِن هذهِ الأُمَّةِ عَنْ عِلمٍ).

والنَّوعُ الثَّانِي - وهمُ الجَاهِلُونَ العَامِلُونَ دونَ علمٍ - **فيهِ طَائفتانِ**:

❖ **فالطَّائفةُ الأولَىٰ**: طَائفةٌ أصْليَّةٌ؛ وهمُ النَّصارَىٰ.

❖ **والطَّائفةُ الثَّانيةُ**: طَائفةٌ تَابِعَةٌ ؛ وَهُم (مَنْ عَدَلَ عنِ الصِّراطِ المُسْتقيمِ مِن هذهِ الأُمَّةِ عنْ جَهْلٍ).

واسْتحقَّ أهلُ النَّوعِ الأوَّلِ الغَضَبَ؛ فسُمُّوا (المَغضُوبَ عَليهِمْ).

واسْتحقَّ أهلُ النَّوعِ الثَّانِي الضَّلالَ؛ فسُمُّوا (الضَّالِّينَ).

وكُلُّ طائفةٍ لَهَا حَظٌّ مِنْ وَصْفِ الأُخرَىٰ، لكِنْ مَا شُهِرَتْ بِهِ أَظْهَرُ فيهَا:

✓ فاليَهُودُ مَغْضُوبٌ عليهِمْ، وهُمْ ضَالُّونَ، لكِنَّ الغَضَبَ فِيهِمْ أظهرُ.

✓ والنَّصَارَىٰ ضَالُّونَ، وهُمْ مَغْضُوبٌ عَلَيهِمْ، لكِنَّ الضَّلَالَ فِيهِمْ أظهرُ.

ومَنْ كَانَ مثلهُمْ مِنْ هذهِ الأمَّةِ فَهُوَ مُلْحَقٌ بِهِمْ، قَالَ سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ ضَلَّ مِنْ عُلَمَائِنَا فَفِيهِ شَبَهٌ منَ اليَهودِ، ومَنْ ضلَّ مِنْ عُبَّادِنَا فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ النَّصَارَىٰ». انْتَهَىٰ كَلَامُه.

فالعَالِمُ الَّذِي لَا يَعمَلُ بِالحَقِّ شَبيهٌ باليَهودِ الَّذينَ يَعرفُونَ الحَقَّ ولَا يَعمَلُونَ بهِ، والعَابدُ الَّذي يَعمَلُ بلَا عَمَلٍ فيهِ شَبَهٌ مِنَ النَّصارَىٰ الَّذينَ يَجهَلُونَ ويَعمَلُونَ دُونَ عِلمٍ.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

تَفْسِيرُ آيَةِ الكُرْسِيِّ

عَنْ أُبيِّ بنِ كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا المُنْذِرِ؛ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**»، قالَ: قلتُ: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ، قالَ: «**يَا أَبَا المُنْذِرِ؛ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**»، قالَ: قُلتُ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾، قالَ: فضَرَبَ في صَدرِي وقالَ: «**وَاللهِ لِيَهْنِكَ العِلْمُ أَبَا المُنْذِرِ**». رَواهُ مسلمٌ.

وَعَنْ أَبِي أُمامةَ البَاهِليِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ**». رَواهُ النَّسائيُّ في «السُّنَنِ الكُبرىٰ»، وإسنادُهُ حَسَنٌ.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة].

هذهِ الآيةُ البيِّنةُ تُسَمَّىٰ (آيَةَ الكُرْسيِّ) لاختِصَاصِها بذِكرِه، وهيَ أعظمُ آيةٍ في كِتابِ اللهِ؛ لِمَا حوتْهُ مِن خبرٍ عَنْ عظمَةِ اللهِ وعُلُوِّ قَدْرِه.

فمَطْلَعُهَا ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ مُبيِّنٌ أنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يَستَحِقُّ الأُلُوهِيَّةَ وَحْدَهُ؛ فَلَا إلهَ

حَقٌّ إلَّا هُوَ.

وهُوَ عَزَّوَجَلَّ ﴿ٱلۡحَىُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾: القَائمُ بنفسِهِ وعَلَىٰ كلِّ شيْءٍ، ومِن تَمَامِ حيَاتِه وَقيُّومِيَّتِهِ أنَّهُ ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوۡمٌۚ﴾، والسِّنَةُ: النُّعاسُ.

و﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۗ﴾، فجَميعُ مَا فيهِمَا مُلكٌ لهُ، ولِكمَالِ مُلكِهِ امْتَنَعَ أن يَشْفعَ أَحَدٌ عِندَهُ قَبلَ إذْنِهِ؛ فقَولُهُ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ استِفهَامٌ استِنكَارِيٌّ استِبْعادًا لِوُقُوعِها دُونَ إذنٍ للشَّافِعِ؛ لأَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّها للهِ.

أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْمًا، وعِلمُ غيرِهِ لا يَكُونُ إلَّا بِفَضلِهِ، ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىۡءٍ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾، فيَعلَمُ مَا بَينَ أيدِي الخلَائقِ مِنَ الأُمورِ المُستَقْبَلَةِ، ومَا خَلفَهُمْ مِنَ الأُمورِ المَاضِيةِ، ولَا يُحيطُونَ بِشَيْءٍ مِن عِلمِهِ إلَّا بِمَا شَاءَ وَحدَهُ، فيُطْلِعُ عَلَيهِ مَنِ ارتَضَىٰ مِن خَلقِهِ.

ومِن عَظَمَتِهِ أنْ ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾، والكُرسِيُّ: موضِعُ قدَمَي اللهِ، ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾، أي لا يُثقِلُهُ حِفْظُهُمَا، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِىُّ﴾ بِذاتِهِ وصِفاتِهِ عَلَىٰ جميعِ مَخلُوقاتِهِ، وَمِن عُلُوِّ صِفَاتِهِ أنَّهُ ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ ذُو العَظَمةِ الكامِلةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ذكرَ المُصنِّفُ - وفَّقَهُ اللهُ - فِي هذهِ الجُملةِ (**تَفْسِيرَ آيَةِ الكُرْسِيِّ**).

وابتَدَأَهُ بذِكرِ حَدِيثَينِ يتعلَّقانِ بفضلِهَا؛ لِمَا تقدَّمَ أَنَّ النُّفُوسَ تَشْتَاقُ إلَىٰ الشَّيءِ وَتَتَشَوَّفُ إليهِ إذَا ذُكِرَ فضْلُهُ.

فَالحَـديثُ الأوَّلُ: حَـديثُ (أُبَـيِّ بـنِ كعـبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ أنَّـهُ قَـالَ: قـالَ رَسُـولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا المُنذِرِ...** ») الحَديثَ. (رواهُ مسلمٌ).

ودِلَالَتُهُ على فَضلِ آيَةِ الكُرسيِّ: فِي قَولِهِ: («**يَا أَبَا المُنْذِرِ؛ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**»، قَالَ: قُلتُ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾)؛ فَمِنْ فضلِ «آيةِ الكُرسيِّ» أنَّهَا أفضَلُ آيةٍ مِن آياتِ القرآنِ الكريمِ.

وَبِضَمِّ هذَا الحَديثِ إلَىٰ مَا تَقَدَّمَ مِن حَديثِ أَبِي سَعيدٍ ابنِ المُعَلَّىٰ؛ يُعلَمُ:

- ✓ أنَّ أعظَمَ سُورةٍ كَاملةٍ فِي القُرآنِ هيَ «الفاتحةُ».
- ✓ وَأنَّ أعظَمَ آيةٍ مُنْتَخَبَةٍ فِي القُرآنِ هيَ «آيةُ الكُرسيِّ».

والحَـديثُ الثَّـانِي: حَـديثُ (أَبِـي أُمَامـةَ البَـاهِلِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قـالَ: قـالَ رسـولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ...**») الحديثَ. (رواهُ النَّسائيُّ في «السُّنَنِ الكُبرىٰ»، وإسنادُهُ حَسَنٌ).

ودِلَالَتُـهُ علـىٰ فَضْـلِ آيـةِ الكُرسـيِّ: في قولِـهِ: («**لَـمْ يَمْنَعْـهُ مِـنْ دُخُـولِ الجَنَّـةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ**»)؛ فَمِنْ فَضلِ آيةِ الكُرسيِّ أنَّ المُلَازِمَ قِراءَتَهَا في دُبُرِ كلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبةٍ لَـمْ يَمنعْهُ مِن دُخولِ الجَنَّةِ إلَّا المَوتُ، فمُلازمةُ آيةِ الكرسيِّ علىٰ النَّحوِ المَذْكورِ مِن مُوجِبَاتِ دُخولِ الجنَّةِ.

ثمَّ ذَكرَ تفسيرَ **هـذهِ الآيـةِ**، وابتـدَأَه بقولِـهِ: (هـذهِ الآيـةُ البيِّنةُ)؛ اتِّبَاعًـا لِوَصـفِ خِطَابِ الشَّرعِ لـ(الآيةِ)، فَإنَّ الآيةَ وُصِفَتْ في خِطَابِ الشَّرعِ بثَلَاثةِ أَوصَافٍ:

- **أحدُها**: بيِّنةٌ.
- **وثانيهَا**: مُبيِّنةٌ.
- **وثالثُهَا**: مُبيَّنةٌ.

ولَمْ يَأتِ قطُّ فِي خِطَابِ الشَّرعِ وَصفُ الآيةِ بـ(الكَريمَةِ)، لكِنْ جَاءَ وَصفُ (الكَرَمِ) للقُرآنِ كلِّهِ؛ لأنَّ (**الكرَمَ**) هوَ السُّمُوُّ والعُلُوُّ والرِّفْعةُ، و(**البيَانَ**) هوَ الوُضوحُ والجلاءُ، وتَحُقُّقُ المَعنَىٰ الأوَّلِ يَكونُ بالقرآنِ كلِّهِ، وتَحقُّقُ المَعنَىٰ الثَّانِي يَكُونُ فِي كلِّ آيَةٍ منهُ، فَكلُّ آيَةٍ مِنَ القُرآنِ هيَ بَيِّنةٌ جليَّةٌ وَاضِحَةٌ، وَأَمَّا عُلُوُّ القُرآنِ علَىٰ غيرِهِ وَسُمُوُّهُ فِي نَظْمِ الكَلَامِ قولًا وَمَعنًىٰ فَهوَ بمَجْمُوعِهِ.

فَالمُوافِقُ للخِطابِ الشَّرعيِّ - وفيهِ المَعنَىٰ المتقدِّم - أنْ يَكونَ وَصْفُ الآيةِ المُفْردَةِ مِنهُ(البيِّنةُ).

وَوصْفُهَا بـ(الكَريمَةِ) جائزٌ، لكِنَّ العُلُومَ الكامِلةَ والأعْمَالَ الفَاضِلةَ هيَ المُوَافِقَةُ الخَبَرَ الشَّرعِيَّ، فإنَّهُ أَصَحُّ مِن خبَرِ غيرِه.

ثمَّ ذَكرَ أنَّ هذهِ الآيةَ البيِّنةَ (تُسمَّىٰ (آيةَ الكُرْسيِّ) لاختِصَاصِها بذِكرِهِ)؛ أي لاختِصَاصِها بذِكْرِ الكُرسيِّ الإلهيِّ.

قَالَ: (وهيَ أعظمُ آيةٍ في كتابِ اللهِ؛ لِمَا حَوَتْهُ مِن خبَرٍ عنْ عظَمَةِ اللهِ وعُلُوِّ قدرِهِ)، فخَبَرُها عنْ عظَمَةِ اللهِ كَسَاهَا عَظَمةً؛ فصَارتْ بِذِكرِ العَظِيمِ عَظِيمةً.

ثمَّ قالَ: (فمَطْلَعُهَا ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ مُبَيِّنٌ أنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يَستَحِقُّ الأُلُوهِيَّةَ وَحْدَهُ؛ فَلَا إلهَ حَقٌّ إلَّا هُوَ)، عَلَىٰ مَا تَقدَّمَ بيانُهُ فِي قولِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة:٥].

ثمَّ قالَ: (وهُوَ عَزَّوَجَلَّ ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾)، وفسَّرَ (القيُّومَ) بقَولِهِ: (القَائمُ بنفسِهِ وعَلَىٰ كلِّ شيْءٍ)؛ فَهوَ الَّذي قامَ بنَفسِهِ فَلَمْ يَحتَجْ إلَىٰ غَيرِهِ، وهوَ الَّذي لِكمَالِ قَيُّوميَّتِهِ قَامَ عَلَىٰ كلِّ شَيءٍ، فمَصَالحُ الخَلقِ كافَّةً مَوكُولةٌ إليهِ.

ثـمَّ قَـالَ: (ومِـن تَمَـامِ حَيَاتِـهِ وَقَيُّومِيَّتِـهِ أَنَّـهُ ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، والسِّـنَةُ: النُّعاسُ)، وكَانَ ذِكرُ أَحدِهِما مُغْنِيًا عَنِ الآخرِ؛ فلَوْ قيلَ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ - وهي النُّعاس - وَلَمْ يُذكَرْ: ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾، عُلِمَ نَفيُ النَّومِ؛ لأنَّ السِّنةَ مُقَدِّمةُ النَّومِ، فَإذَا نُفِيَتِ المُقَدِّمةُ نُفيَ مُنتهَاهَا، وَلَوْ قَالَ: (لَا يأخذهُ نومٌ) لَكَانَ كافيًا في نَفي (السِّنَةِ)؛ لأنَّ السِّنةَ فَرْدٌ مِنْ أَفرادِ النَّومِ، لكِنْ قِيلَ فِي الآيةِ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، تَفْصيلًا فِي النَّفيِ، خِلافَ قَاعدةِ خِطابِ الشَّرعِ قُرآنًا وسُنَّةً فِي نفيِ النَّقائصِ عنِ اللهِ؛ فَإنَّ طَريقةَ الخِطابِ الشَّرعيِّ في الكَمَالَاتِ إثْبَاتًا: تَفصِيلُهَا، وفِي النَّقَائصِ نَفْيًا: إجمَالُهَا.

وَوَقَعَ فِي القرآنِ فِي مَوَاضِعَ قَليلةٍ تَفصيلُ النَّفيِ عَلَىٰ خِلَافِ القَاعدةِ، **والنَّفيُ المُفَصَّلُ الوَاقعُ خِلَافَ قَاعدَةِ الشَّرعِ لهُ أَحدُ ثلاثةِ دَوَاعِي**:

- **أَوَّلُها**: نَفيُ تَوَهُّمٍ مُتوقَّعٍ؛ بأنْ يُتَوَقَّعَ وُرُودُ وَهَمٍ فِي الأفْهامِ فَيُفصَّلُ فِي النَّفيِ.
- **وثَانيهَا**: نَفيُ مَقَالةٍ مُدَّعاةٍ؛ فَيدَّعِي الكَافِرُونَ شَيئًا فيُفَصَّلُ فِي نَفيهِ تَبَعًا لِدَعْوَاهِمْ.
- **وثالثُها**: تأكيدُ إثباتِ الكَمَالِ المُقَابلِ للنَّقْصِ المَنْفِيِّ، ومنهُ هذهِ الآيةُ، فَقَولُهُ تعالَىٰ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ فُصِّلَ فِي النَّفيِ لإثباتِ كَمَالِ الحياةِ والقَيُّوميَّة.

وقَاعدةُ المَقصُودِ فِي النَّفيِ: هوَ إثباتُ الكَمَالِ المقابلِ؛ ذكَرهُ ابنُ تيميةَ الحفيدُ، وصاحبُهُ أبُو عبدِ اللهِ ابنِ القيِّمِ، فِي آخرينَ.

فالنَّفيُ المُتَعَلِّقُ بربِّنَا سُبحانَهُ فِي القرآنِ الكريمِ لَا يُرَادُ لذاتِه؛ لأنَّ النَّفيَ المَحْضَ إعدَامٌ ولَا كَمَالَ فيهِ، لكِنْ يُرَادُ مُقَابِلُه مِن الكَمالِ أن يُثْبَتَ للهِ، فإذَا قيلَ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصِّلت]، فالمُرادُ إثباتُ الكَمالِ المُقابلِ وهوالعَدْلُ.

وإذا فُصِّلَ فِي نَفيٍ مَا: يكونُ تَارَةً من دَواعيهِ تَأكيدُ الكَمَالِ المقابلِ، فقولهُ تعالَىٰ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ﴾ لا يَدُلُّ فقطْ عَلَىٰ إثباتِ الكمالِ المُقَابلِ كالآيةِ السَّالِفةِ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ [فُصِّلت]، لكِنْ يدلُّ علىٰ تأكيدِ إثباتِ الكَمَالِ المُقابلِ، وهُوَ حياةُ اللهِ وقيُّوميّتُه.

ثمَّ قالَ: (و﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾، فجَميعُ مَا فيهِمَا مُلكٌ لهُ، ولِكَمَالِ مُلكِهِ امْتَنَعَ أَن يَشْفعَ أَحَدٌ عِندَهُ قَبلَ إذْنِهِ؛ فَقَولُهُ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ استِفهَامٌ استِنكَارِيٌّ)؛ أي علَىٰ وجهِ إنكارِ تلكَ المَقَالةِ؛ أنْ يَكونَ أحدٌ يَشْفَعُ عندَ اللهِ دُونَ إذنِه، قالَ: (استِبْعادًا لِوُقُوعِها دُونَ إذنٍ للشَّافِعِ)، فَلَا تَقَعُ شَفَاعةٌ عندَ اللهِ دُونَ إذنه، وعلَّلهُ بقولِه: (لأنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّها للهِ)، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ [الزمر:٤٤]، وإذَا كانتِ الشَّفاعةُ كلُّها للهِ فإنَّه لا يَتقدَّمُ أحدٌ بين يديهِ فيهَا إلَّا بإذنهِ سُبحانَهُ.

ثمَّ قالَ: (أَحَاطَ بِكلِّ شيءٍ عِلمًا، وعِلمُ غَيرهِ لا يَكُونُ إلَّا بِفضلِهِ)، فعِلْمُ الخَلقِ أَجْمَعينَ هُوَ مِن عِلمِ ربِّ العَالمينَ، فالمَعلومَاتُ المُسْتكِنَّةُ في قَلْبِ هذَا أَوْ قَلبِ ذَاكَ هيَ منْ عِلمِ اللهِ سُبحانَهُ.

فإذا أُخِذَ النَّاسُ بِعِلْمِ أحدٍ منَ الخلق، وَجَبَ فِي حقِّ العَارِفينَ باللهِ وأمْرِهِ أَنْ يَكونَ عَجَبُهُمْ مِن عِلمِهِ مِرْقَاةً تُعْجِبُهمْ من عِلمِ اللهِ الَّذي علَّمَهُ وإيَّاهُمْ، فإنَّ العِلْمَ الَّذي يُصِيبُه النَّاسُ لَا ينَالونَه بقوَّةِ أفهامِهِم، ولَا جَوْدَةِ أذهانِهِم، وَلَا سَلَالةِ أنْسَابِهِمْ، ولَا شَرَفِ أحْسَابِهِم، ولَا كَثْرةِ أَموالِهِم، ولَا مَنَاصِبِهِمْ، ولَا رِئَاسَاتِهِم؛ بَلْ هُوَ مَحْضُ فَضْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وقَدْ قالَ اللهَ لنبيِّه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء].

فالمَعارفُ والعُلومُ الَّتِي تكونُ عندَ النَّاسِ هيَ مُرْشِدَةٌ إلىٰ عِلمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

ثـمَّ قـالَ: (﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾، فيَعلَمُ مَا بَينَ أيدِي الخلَائقِ مِن الأُمورِ المُستَقْبلَةِ)؛ أي مَا يَكونُ بَينَ أيْدِيهم فِي مُسْتَقْبَلِ الأيَّام، (ومَا خَلفَهُم مِنَ الأُمورِ المَاضِيةِ) الَّتي طَوَوْهَا فِيمَا سَلَفَ مِن دَهْرِهِمْ، (ولَا يُحيطُونَ بِشيْءٍ مِن علمِهِ إلَّا بِمَا شاءَ وحدَهُ، فيُطْلِعُ عليهِ منِ ارتضَىٰ مِن خلقِهِ).

ثمَّ قالَ: (ومِن عَظَمَتِهِ أنْ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ﴾)؛ فسَعَةُ كُرْسيِّ اللهِ تَبلغُ السَّمٰواتِ والأَرضَ، (والكُرسِيُّ: موضِعُ قدَمَي اللهِ).

صَحَّ هذا عنِ ابنِ عبَّاسٍ وأبِي سَعيدٍ الخدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وانعقَدَ علَيهِ الإجماعُ.

ثمَّ قالَ: (﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ﴾؛ أي لا يُثقِلُهُ حِفظُهُمَا)؛ فلَا يَلْقَىٰ اللهُ ثِقَلًا ولَا اكتِراثًا بِحِفْظِ السَّمٰواتِ والأَرضِ.

وتَفسيرُ قَولِهِ: (﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ﴾) بقولِهِ: (لا يُثقِلُهُ حِفْظُهُمَا)؛ ثَبَتَ هذا عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وصَاحِبِهِ مُجاهِدٍ أنَّهمَا قَالَا: «لا يُثْقِلهُ ولا يُكْرِثُهُ»؛ أي لَا يُشْغِلُهُ اهتِمَامًا.

ثمَّ قالَ: (﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ بِذاتِهِ وصِفاتِهِ علىٰ جميعِ مخلُوقاتِهِ)، فـ(العَلِيُّ) مِن أَسمَائِه، و(العُلُوُّ) مِن صفاتِه.

وعُلُوُّ اللهِ سُبحانَهُ نوعانِ:

- **أحدهُما :عُلوُّ الذَّات**؛ وهُوَ أنَّهُ سُبحَانَه فَوقَ خَلْقِهِ بَائِنٌ مِنهُمْ.
- **والآخرُ: عُلوُّ الصِّفاتِ**؛ فَلَهُ سُبحانُه ﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]، قالَ ابنُ عبَّاسٍ: «الوصفُ الأعلىٰ»، واختَارَهُ أَبُو عبدِ اللهِ ابنِ القيِّمِ.

وأمَّا عُلوُّ القَهْرِ الَّذِي يَذكرُهُ بعضُ أَهلِ العِلْمِ فإنَّهُ يَرجِعُ إلَىٰ عُلُوِّ الصِّفاتِ.

فَلِأَهْلِ السُّنَّةِ فِي قِسْمةِ (العُلوِّ) طَرِيقتَانِ:

- **إحداهُمَا**: أنَّ العُلُوِّ ثَلاثَةُ أَنوَاعٍ؛ هيَ: عُلوُّ الذَّاتِ، وَعُلوُّ الصِّفاتِ، وَعُلوُّ القَهرِ.
- **والأُخرَىٰ**: أنَّ العُلوَّ نوعانِ؛ هُمَا: عُلوُّ الذَّات، وعُلوُّ الصِّفاتِ.

والطَّريقةُ الثَّانيةُ أصَحُّ مَأْخذًا، وأَقْوَىٰ مُدْرَكًا؛ فَإنَّ (القَهْر) فَرْدٌ من أَفرَادِ الصِّفاتِ، فَقولُنَا: (عُلُوُّ الصِّفاتِ) يَندرجُ فيهِ عُلُوُّ القَهرِ، وإلَىٰ هذَا ذَهبَ جَمَاعَةٌ مِنَ المُحقِّقِينَ، مِنهم العَلَّامةُ إسحَاقُ بنُ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ حَسَنٍ بنِ مُحمَّدِ بنِ عَبدِ الوهَّابِ، المُتوفَّىٰ سَنَةَ تِسعَ عشْرةَ وثَلَاثِمائةٍ وأَلْفٍ.

وإلىٰ ذَٰلكَ أَشرتُ بِقَولِي:

عُلُوُّ ربِّنَا لَدَىٰ الثِّقَاتِ ... عُلُوُّ ذَاتِهِ مَعَ الصِّفَاتِ
أَمَّا عُلُوُّ قَهْرِهِ فَرُدُّوا ... لِسَابِقٍ إِذْ مِنْهُ يُسْتَمَدُّ

والسَّابِقُ هو عُلُوُّ الصِّفاتِ، فهُو مُستمدٌّ مِنهُ.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

تفسيرُ الآيتين مِن آخرِ سورةِ البقَرةِ

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ البَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**». مُتَّفقٌ عليهِ - واللَّفظُ لِمسلمٍ.

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة].

خَتمَ اللهُ سُورةَ البقَرةِ بالخَبَرِ عَنْ إيمانِ الرَّسولِ والمُؤمِنينَ فقَالَ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ مِنَ الوحْيِ، ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ هُم أيضًا بهِ مُؤمنُونَ: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾، وقَالُوا مُعْلِنينَ إيمَانَهُم بالرُّسُلِ كافَّةً: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾، فَهُمْ بَرَاءٌ مِنَ الإيمَانِ بِبَعضٍ والكُفرِ بِبَعضٍ، ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ قَبُولًا وانْقِيادًا، وقَالُوا: ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، فَسَأَلُوا اللهَ مَغْفِرَتَهُ فِي طَاعَةٍ ضَيَّعُوهَا، ومَعصيةٍ فعَلُوهَا، وأَقرُّوا أنَّ مَرَدَّ جَمِيعِ الخَلَائِقِ إلَىٰ اللهِ؛ لِيجْزِيَهُمْ بِمَا عَمِلُوا مِنْ خَيرٍ وشَرٍّ.

ثُمَّ أخبَرَ اللهُ عَمَّا يُعامِلُ بِهِ الخلْقَ فقَالَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾؛ أَيْ لَا يُعلِّقُ بِهَا إلَّا مَا في قُدرتِهَا، ثمَّ بيَّنَ أنَّ كلَّ نفسٍ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ مِنَ الخيرِ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ مِنَ الشَّرِّ.

وكَانَ عَظُمَ علَىٰ المُسْلِمِينَ قَولُهُ تعالىٰ: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة:٢٨٤]، وظنُّوا أنَّ العبدَ مُؤَاخذٌ بِكُلِّ ما يقعُ فِي قلبِهِ، فأُخْبِرُوا فِي هذهِ الآيةِ أنَّ اللهَ لَا يُكلِّفُ نفسًا إلَّا وُسْعَهَا، وهُوَ طاقتُهَا، فلَا يُعلِّقُ بِذِمَّةِ العَبدِ خبَرًا أوْ طلبًا إلَّا ما يستَطِيعُهُ.

وجعَلَ آخِرَهَا دعاءَ المُؤمنينَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾؛ لِأنَّهُ أَخْبَرَ عن إيمانِ الرَّسُولِ والمُؤمِنينَ، ثمَّ أخبَرَ أنَّ كُلَّ عامِلٍ سَيُجازَىٰ بِعَمَلِهِ، وأَخبرَ أنَّهُ لَا يُكلِّفُهمْ إلَّا مَا فِي وُسعِهِمْ وقُدرَتِهمْ، والوَاحِدُ مِنهُمْ عُرْضَةٌ للنِّسْيانِ والخَطَإِ، فنَاسَبَهُ دُعَاءُ المؤمِنِينَ بمَا ذكرَ اللهُ عنهُمْ.

وقدْ تفضَّلَ اللهُ عَلَيهِمْ فأَجابَ دُعاءَهُم فيمَا سَأَلُوهُ فِي قولِهِمْ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾؛ فقالَ: قَدْ فَعَلْتُ، وأَجابَ دُعاءَهُمْ فيمَا سَأَلُوهُ فِي قولِهِم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾؛ فقالَ: قَدْ فعَلْتُ، وأَجابَ دُعاءَهُمْ فيمَا سَأَلُوهُ في قولِهِم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ فلَا نَسْتطِيعُهُ، ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ﴾؛ فقالَ: قَدْ فَعلْتُ.

فلَا يُؤَاخذُونَ فِي النِّسْيانِ والخطأِ، والنِّسيانُ: ذُهولُ القَلْبِ عَن شَيءٍ يعلَمُهُ، والخَطَأُ: وُقُوعُ الأمرِ علَىٰ وجْهٍ لَمْ يَقصِدْهُ فاعِلُهُ، ولَا يَحمِلُ اللهُ عَليهِمْ إصْرًا - أَي مَشقَّةً وحَرَجًا - كَمَا حَمَلَهُ علىٰ الأُمَمِ المُتقدِّمةِ عَلَيهِمْ، وسَيَرفَعُ عنهُمْ ثِقَلَ أَوْزارِهِمْ بالعَفْوِ والمَغفِرَةِ، ويُسْبِغُ عَلَيْهِمْ وَاسِعَ فَضْلِهِ بالمَرْحَمَةِ.

ثُمَّ تَمَّمُوا دُعاءَهُم بقولِهِمْ: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾؛ أي المُتصرِّفُ فِينَا بِمَا يَنْفعُنا فِي الدُّنيَا والآخِرةِ، ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾.

عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أنَّهُ قَالَ: لَمَّا نزلَتْ هذهِ الآيةُ: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤]، قَالَ: دَخَلَ قُلُوبَهُم مِنهُ شيءٌ لَمْ يَدْخُلْ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالَ: «**قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**»، فألْقَىٰ اللهُ الإيمانَ فِي قُلُوبِهِم، فأنزَلَ اللهُ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ...﴾ الآيةَ، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾، قالَ: «**قَدْ فعَلْتُ**»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾، قالَ: «**قَدْ فعَلْتُ**»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ...﴾ الآيَةَ، قَالَ: «**قَدْ فَعَلْتُ**». رواهُ مُسلِمٌ والتِّرمِذِيُّ - واللَّفْظُ لهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ذكرَ المصنِّفُ - وفَّقهُ اللهُ - فِي هذهِ الجُملةِ (**تَفْسِيرَ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ**).

واسْتَفْتَحَ بَيَانَهُ بذِكرِ حَديثٍ في فَضْلِهِمَا، وهُوَ حديثُ (أَبِي مَسْعُودٍ البَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛

أَنَّهُ قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ». مُتَّفقٌ عليهِ).

ودِلالَتُهُ علىٰ فضْلِ «الآيتينِ مِن آخرِ سورةِ البقرةِ»: فِي قَولِهِ: («مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»)؛ فكِفايةُ اللَّيلِ تَكونُ بقراءةِ آيتينِ من آخِرِ سُورةِ البَقرةِ.

وحُذِفَ مُتَعَلَّقُ الكِفَايةِ؛ لِيَعُمَّ، فَلَمْ يأتِ فِي الحَديثِ: «كَفَتَاهُ قِيامَ اللَّيلِ»، أو «كَفَتَاهُ ذِكرَ اللهِ»، أو «كَفَتَاهُ الشَّرَّ»؛ لِيَعُمَّ كلَّ موردٍ للكفايةِ؛ وهذَا أَصَحُّ الأَقْوالِ في مُتَعَلَّقِ الكِفايةِ في الحَديثِ.

وهَاتَانِ الآيتَانِ يَحصُلُ الفَضلُ المَذكُورُ لَهُمَا بِقِرَاءَتِهِمَا دُونَ غَيرِ ذٰلكَ مِنْ وُجوهِ الاعتناءِ بِهمَا، فَلَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ كَتَبَهُمَا أَو أَنَّه فسَّرهُمَا دُونَ قِراءةِ الآيتينِ فلَا يَحصُلَ لَهُ الفَضلُ، فَشَرْطُ الفَضلِ: القِراءةُ.

ووقتُهُ: أنْ يكونَ فِي اللَّيلةِ، **واللَّيلَةُ**: اسمٌ لِمَا يكونُ بَعدَ غروبِ الشَّمسِ حتَّىٰ طُلوعِ الفجرِ الثَّانِي، فإذَا غَربتِ الشَّمسُ استُحِبَّتِ المُبَادَرَةُ بقراءتِهمَا، فإنْ أَخرَّهمَا إلَىٰ أَيِّ وَقتٍ منَ اللَّيلِ فهوَ مَحَلٌّ لقراءتِهمَا، لكِنَّ الأَكْمَلَ هوَ تَقديمُ طَلَبِ الكِفايةِ بالمُبَادَرةِ إلىٰ قراءتِهمَا بَعدَ غروبِ الشَّمسِ.

ثـمَّ ذكـرَ **تفسيرَ الآيتين**، فقالَ: (خَتمَ اللهُ سُورةَ البقَرةِ بالخَبَرِ عَنْ إِيمانِ الرَّسولِ والمُؤمِنِينَ فَقالَ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾)، والمُنزَلُ إلىٰ الرَّسولِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هوَ (الوَحْيُ) مِنَ القرآنِ و السُّنَّةِ، قالَ تعالَىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [النساء:١١٣]، وسُنَّته صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ تُسمَّىٰ (حِكمةً)، وهِيَ وَالقرآنُ وَحيٌ، قالَ اللهُ تعالَىٰ فِي (القُرآنِ): ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورىٰ:٥٢]،

وقالَ فِي (السُّنَّةِ): ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم].

ثمَّ قالَ: (﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ هُم أيضًا بهِ مُؤمِنُونَ)؛ أَي هُمْ مُؤْمِنُونَ بِمَا أَنزلَ اللهُ مِنَ الوَحيِ، (﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾، وقَالُوا مُعلنِينَ إيمَانَهُم بالرُّسُلِ كافَّةً: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾، فَهُمْ بَرَاءٌ مِنَ الإيمَانِ بِبَعضٍ والكُفرِ بِبَعضٍ)، فَإنَّها طَريقةُ أهلِ الكِتابِ، الَّذينَ يُؤمِنونَ بِمَنْ يُؤمنونَ بهِ مِنَ الرُّسُلِ ويُكذِّبونَ غيرَهُمْ، وأمَّا أهلُ الإسلامِ فإنَّهُم يُؤمِنُونَ بالرُّسُلِ جَميعًا.

ثمَّ قالَ: (﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ قَبُولًا وانْقِيادًا)؛ فَـ(السَّمعُ) هوَ القبولُ، و(الطَّاعةُ) هيَ الانقيادُ.

والفرقُ بينَ (القبولِ) و(الانقيادِ) مِن ثَلاثةِ وجوهٍ:

- **أوَّلُها**: أنَّ القَبُولَ يتعلَّقُ بالظَّاهِرِ، والانقيادَ يتعلَّقُ بالباطنِ.
- **وثانيها**: أنَّ القَبُولَ يُطلبُ عندَ مُباشرةِ الخِطابِ بالأَمرِ، والانْقيَادَ يَكونُ بَعدَهُ امْتِثالًا.
- **وثالثُها**: أنَّ القَبُولَ قد يَبْقَىٰ مَعَهُ مُنَازَعَةٌ فِي القَلبِ، أمَّا الانْقِيَادُ فلا يبقَىٰ في القَلبِ مُنازعةٌ للأَمرِ.

ثمَّ قالَ: (وقَالُوا: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾، فَسَأَلُوا اللهَ مَغْفِرَتَهُ في طَاعَةٍ ضَيَّعُوهَا، ومَعصيةٍ فَعَلُوهَا)؛ **فالمَغفِرَةُ الَّتي تُطلبُ من اللهِ لَهَا مَوْرِدانِ**:

- **أحدُهُمَا**: تَضْييعُ الطَّاعاتِ.
- **والآخرُ**: فِعلُ المعاصِي والسَّيِّئاتِ.

فتَضْيِيعُ الطَّاعةِ ذَنبٌ، ومُواقَعةُ المَعاصِي والسَّيِّئاتِ ذَنبٌ، وسُؤالُ اللهِ المَغفرَةَ يَكُونُ فِي هذَا وهذَا.

ثـمَّ قـالَ: (وأَقـرُّوا أنَّ مَـرَدَّ جميـعِ الخلَائـقِ إلـىٰ اللهِ)؛ لقولِـهِ: (﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾)، فـ(**المصيرُ**) هُوَ المَرجِعُ والمآلُ، ورَدُّهُمْ إلَىٰ اللهِ عَلَّلَهُ بقَولِـهِ: (ليجزِيهُمْ بِمَـا عمِلُـوا مِـن خيرٍ وشرٍّ).

قال: (ثُمَّ أخْبَرَ اللهُ عَمَّا يُعامِلُ بـهِ الخلْقَ فقَـالَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾؛ أَيْ لَا يُعلِّقُ بِهَا إلَّا مَا فِي قُدرتِهَا)؛ فـ(**التَّكليفُ**) هُوَ التَّعليقُ فِي الذِّمَّةِ، ومِنْهُ سُمِّيَ مَا يَكونُ عَلَىٰ الوَجْهِ (كَلَفًا)؛ لِتعلُّقِهِ.

وتَفْسيرُ هذهِ الآيَةِ بأنَّ (التَّكليفَ: إلزامُ ما فيهِ مشقَّةٌ)، مِن تَفسيرِ القُرآنِ بالمُصطَلَحِ الحَادِثِ، ولَا تَعرفُ العَربُ هذا المَعنَىٰ فِي لِسَانِهَا، ولَا يُوافقُ خِطابَ الشَّرعِ أبَدًا، فإنَّ الأوامرَ الإلهيَّةَ ليستْ تَكاليفَ؛ بلْ هيَ نُورٌ وهِدايةٌ وانشراحٌ؛ ذَكرهُ أبو العبَّاسِ ابنُ تيميةَ، وصاحبُه أبُو عبدِ اللهِ ابنِ القيِّمِ، ولِبَسْطِهِ مقامٌ آخرُ.

والمَقصود: أن تعلمَ أنَّ ذِكْرَ (التَّكليفِ) الوارد فِي خِطابِ الشَّرعِ يُرادُ بهِ: ما يُعلَّقُ بالذِّمَّةِ؛ فَلَا يُعَلِّقُ اللهُ بذِمَّةِ أحدٍ إلَّا ما فِي قدرتِهِ.

(ثم بيَّنَ أنَّ كلَّ نفْسٍ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ ﴾ مِنَ الخَيرِ، ﴿وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ ﴾ مِنَ الشَّرِّ)؛

فَجِماعُ عَمَلِ العَبدِ نَوعانِ:

أَحدُهُمَا: الخيرُ.

وَالآخرُ: الشَّرُّ.

وأُشيرَ إلىٰ الخيرِ بـ(الكسْبِ)، وإلَىٰ الشَّرِّ بـ(الاكتِسَابِ)، وأصلُ مَادَّتِهِمَا وَاحدَةٌ،

وَفُرِّقَ بَينَهُمَا فِي المَصدرِ معَ اتِّحادِ مَادَّتِهِما؛ لِأنَّ الخَيرَ مُيَسَّرٌ للعبدِ يُعانُ عَليهِ، وأمَّا الشَّرُّ فَمُفتَقِرٌ إلىٰ مُعَاطَاةٍ وصِناعةٍ، فتَتَحمَّلُ فيه النَّفْسُ خِلَافَ ما فُطِرتْ عَليهِ، فيَكونُ تَوجُّهُهَا إليهِ مَعَ مُنافرةٍ فِي الأَصلِ لِمَا فُطِرتْ عَليهِ.

ثمَّ قالَ: (وكَانَ عَظُمَ علَىٰ المُسْلِمِينَ قَولُهُ تعالىٰ: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة:٢٨٤]، وظنُّوا أنَّ العبدَ مُؤَاخَذٌ بكُلِّ ما يقَعُ فِي قلبِهِ)؛ لأنَّ مَا يُبدِيهِ العَبدُ مِنَ الأَمرِ المُعْلَنِ لهُ فيهِ اختيارٌ، وأمَّا مَا يُخفيهِ - وهُوَ مَا يجِدُه في قلبِهِ - فتَارةً يكونُ لهُ فيهِ اختيارٌ، وتَارةً يَهجُمُ عليه هُجُومًا؛ كَأَنواعِ الوَارداتِ القلبيَّةِ مِنَ الرَّيبِ، أوِ الشَّكِّ، أو غَيرِهَا.

قالَ: (فأُخْبِرُوا فِي هذهِ الآيةِ أنَّ اللهَ لَا يُكلِّفُ نفْسًا إلَّا وُسْعَهَا، وهُوَ طاقَتُهَا، فلَا يُعَلِّقُ بِذِمَّةِ العَبدِ خَبَرًا أوْ طلبًا إلَّا مَا يَستَطِيعُهُ).

ثمَّ قالَ: (وجعَلَ آخِرَهَا دعاءَ المُؤمنينَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾) الآيةَ، وعلَّلَهُ بقَولِهِ: (لِأنَّهُ أَخْبَرَ عن إيمَانِ الرَّسُولِ والمُؤمِنينَ، ثمَّ أخبَرَ أنَّ كُلَّ عَامِلٍ سَيُجازَىٰ بِعَمَلِهِ، وأَخبَرَ أنَّهُ لَا يُكلِّفُهُمْ إلَّا مَا فِي وُسعِهِمْ وقُدرَتِهِمْ، والوَاحِدُ مِنهُمْ عُرْضَةٌ للنِّسْيانِ والخَطَإِ، فنَاسَبَهُ دُعَاءُ المؤمِنِينَ بمَا ذكرَ اللهُ عنهُمْ)؛ أَي تَخَوَّفُوا مَا تَخَوَّفُوهُ مِمَّا يَلحقُهمْ بِغائِلَتِه، فَدَعوُا اللهَ سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ العَفْوَ عَمَّا لَا قُدرَةَ لَهمْ فيهِ، فعفَا اللهُ سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عنهمْ، كَمَا قالَ: (وقدْ تفضَّلَ اللهُ عَليهِمْ فأَجابَ دُعاءَهُم فيمَا سَأَلُوهُ في قَولِهِمْ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾؛ فقالَ: قَدْ فعَلْتُ، وأَجَابَ دُعاءَهُمْ فيمَا سَأَلُوهُ في قَولِهِم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾؛ فقالَ: قَدْ فعَلْتُ، وأَجَابَ دُعاءَهُمْ فيمَا سَأَلُوهُ في قَولِهِم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا

طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ فَلَا نَسْتطِيعُهُ، ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ﴾؛ فقالَ: قَدْ فَعَلْتُ).

ورَفْعُ مُؤَاخَذَتِهِم بالمَذكُوراتِ وإجابةُ دُعَائِهِم فيهَا: شَاهِدُهُ (ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا) الَّذِي ذَكَرَهُ المُصنِّف فِي آخرِ تفسيرِ هذهِ الآيةِ، وهُوَ عِندَ (مسلمٍ والتِّرمذيِّ، واللَّفظُ للتِّرمذيِّ).

ثمَّ قالَ: (فلَا يُؤَاخذُونَ فِي النِّسْيانِ والخطإِ)، وَبَيَّنَ حقيقةَ كُلٍّ فقَالَ: (والنِّسيانُ: ذُهولُ القلبِ عن شَيءٍ يعلَمُهُ)؛ أي عَنْ شيْءٍ كَانَ مُتَقَرِّرًا فِي القَلبِ، ثُمَّ طَرَأَ عَلَيهِ مَا ذَهَلَ بِهِ عنهُ فَصَارَ نَاسيًا لهُ، وفَسَّرَ (الخَطَأَ) بِقولِهِ: (وُقوعُ الأمرِ علىٰ وجْهٍ لَمْ يَقصِدْهُ فاعِلُهُ).

قالَ: (ولَا يَحمِلُ اللهُ عَليهِمْ إصْرًا - أَي مَشقَّةً وحَرَجًا - كَمَا حَمَلَهُ علىٰ الأُمَمِ المُتقدِّمةِ عَلَيهِمْ، وسَيَرفَعُ عنهُمْ ثِقَلَ أَوْزارِهِمْ بالعَفْوِ والمَغفِرةِ، ويُسْبِغُ عَلَيْهِمْ وَاسِعَ فَضْلِهِ بالمَرْحَمَةِ.

ثُمَّ تَمَّمُوا دُعاءَهُم بقولِهِمْ: ﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا﴾؛ أي المُتصرِّفُ فِينَا بِمَا ينْفعُنا فِي الدُّنيَا والآخِرةِ)، واللهُ سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ هُوَ المَولَىٰ وهوَ الوَلِيُّ.

ووِلايةُ اللهِ الخَلقَ وتولِّيهِم نوعانِ:

- **أحدُهُما: وِلَايةٌ عامَّةٌ**؛ بالتَّصرُّفِ فِيهِمْ، وهِيَ للْمُؤْمنِ والكَافرِ.
- **والآخر: وِلَايةٌ خَاصَّةٌ**؛ بالتَّصرُّفِ بمَا ينفعُ فِي الدُّنيَا والآخرةِ، وهيَ خَاصَّةٌ بالمُؤمنينَ.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

تفسيرُ
سورة الكافرون

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون].

أمَرَ اللهُ رسولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هذهِ السُّورة أن يُبَلِّغَ الكافرينَ أمْرًا عظيمًا؛ فقالَ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ الباقُونَ علَىٰ كُفرِكُمْ: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ مِنَ الآلِهةِ فِي المُسْتقبَلِ، كَمَا أنِّي لَا أعبدُهَا الآنَ.

ثُمَّ أخبرَ عَنْ حالِهِمْ فقالَ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾، وَهُوَ اللهُ المُسْتَحِقُّ وَحدَهُ للعبادةِ، فعِبَادَتكُم إيَّاهُ وأَنتُمْ تُشرِكونَ بهِ لَا تُسَمَّىٰ عِبَادةً، ثمَّ كرَّرَ بَراءَتَهُ مِن آلهتِهِمْ فقالَ: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾؛ للدِّلالةِ علىٰ الثَّباتِ، وتَأْيِيسهِمْ مِنْ عِبادَتِه لهَا، وأَخبَرَ عَنْ تَحقُّقِ تكذيبِهِم فَقَالَ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾؛ للدِّلالةِ علىٰ أنَّ ذلكَ صَارَ وَصْفًا لازِمًا لهُم: أنَّهمْ لا يُؤمنونَ.

فلِكُلٍّ دِينُه الَّذِي رَضيَهُ، قالَ تَعالَىٰ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾؛ أي لكُم دينكمْ الَّذي رَضيتُمُوهُ وهُوَ الشِّركُ، ولِيَ دِينِي الَّذي رَضيَهُ لي رَبِّي وهو الإسلامُ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكرَ المصنِّفُ - وفَّقهُ اللهُ - فِي هذهِ الجُملةِ (**تَفْسِيرَ سُورَةِ الكَافِرُونَ**).

وابتدَأَ بَيَانَهُ بقولِهِ: (أَمَرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ فِي هـذهِ السُّـورة أَن يُبَلِّغَ الكـافرينَ أمْرًا عظيمًا؛ فقالَ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ الباقُونَ علَىٰ كُفرِكُمْ)؛ فمُخَاطَبتُهمْ باسمِ (الكافرينَ) دَالٌّ علىٰ ثُبوتِ الكُفرِ فِيهمْ حتَّىٰ صَارَ وصْفًا لازمًا لهُمْ.

وأُمِرَ أنْ يَقُولَ: (﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ ﴾ مِنَ الآلِهةِ فِي المُسْتقبلِ، كَمَا أنِّي لَا أعبدُهَا الآنَ)؛ فبراءتُه ﷺ من معبوداتِهم وقعتْ من جهتينِ:

- **إحداهُمَا: الجِهةُ الحاضِرةُ**؛ فهُوَ لا يُوافقُهمْ فِي عبادةِ معبوداتِهمُ الآن.
- **والأُخرَىٰ: الجِهةُ المُستقبَلَةُ**؛ فهوَ لَنْ يُوافقَهمْ في عِبادتِهمْ آلِهتَهُمْ فيما يُستقبلُ مِنَ الأيَّامِ.

قـالَ: (ثُـمَّ أَخبـرَ عـنْ حـالِهمْ فقـالَ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾، وَهُـوَ اللهُ المُسْتَحِقُّ وَحدَهُ للعبادةِ، فعِبادَتكُم إيَّاهُ وأَنـتُمْ تُشركونَ بـهِ لَا تُسَمَّىٰ عِبَـادَةً)؛ فمَا هُـمْ عَلَيهِ مِنْ دَعْواهُمْ عِبادةَ اللهِ مَعَ مَا يَجعلُونَ لغيرهِ مِنْ ذَبحٍ، أو نَذْرٍ، أو دُعَاءٍ، أوِ اسْتغاثةٍ = دَعْوَىٰ كَاذبةٌ، فإنَّ العَبْدَ لا يَصْدُقُ فِي كَونِه عَابِدًا للهِ حَتَّىٰ يُخلِصَ العِبادةَ لهُ وحدَهُ.

قالَ: (ثمَّ كرَّرَ بَراءَتَهُ مِن آلهتِهمْ فقـالَ: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ ﴾؛ للدِّلالةِ علىٰ الثَّباتِ، وتَأْيِيسهِمْ مِنْ عِبادَتِه لها)؛ فهُوَ ثَابِتٌ علَىٰ تَوحيدِ مَعبودِه، لَـنْ يَعبدَ مَعهُ غيرَهُ، وَهذَا الثَّبـاتُ يُورِثُ نُفُوسَ أُولئِكَ اليَأْسَ مِنْ موافقَتِه ﷺ إيَّاهُمْ.

قالَ: (وأَخبَرَ عَنْ تَحقُّقِ تكـذيبِهم فَقَالَ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾؛ للدِّلالـةِ علىٰ أنَّ ذلكَ صَارَ وَصْفًا لازِمًا لهُم: أَنَّهمْ لا يُؤمنونَ)؛ فقولُـه تعالَىٰ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ

مَآ أَعۡبُدُ ۝٥﴾ خَبرٌ عنْ حَالِهِمْ أَنَّهمْ لَنْ يعبدُوا اللهَ عَزَّوَجَلَّ، فهُم بَاقُونَ فِي حَمْأَةِ الكفرِ.

قالَ: (فلِكُلٍّ دِينُه الَّذِي رَضيَهُ، قالَ تَعالَىٰ: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾؛ أي لكُم دينُكمْ الَّذي رَضِيتُمُوهُ وهُوَ الشِّركُ، ولِيَ دِينِي الَّذي رَضيَهُ لي رَبِّي وهو الإسلامُ).

فَدِينُ المُشركينَ ودِينُ الرَّسولِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَفترِقانِ - وَفْقَ المَذكُورِ فِي هذهِ الآيةِ -:

- مِنْ أنَّ دينَ المُشركينَ رَضيَهُ أُولَئِكَ المُشرِكُونَ لأَنفسِهمْ فَلَمْ يرْضَهُ اللهُ لهُم.
- وَأَمَّا دِينُ الرَّسُولِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فَهُوَ دِينٌ رَضِيَهُ اللهُ لرسُولهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

وَوَقعَ التَّصْريحُ بـ (ياءِ الإضافةِ) فِي قِراءةِ يعقوبَ: ﴿**وَلِيَ دِينِي**﴾.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

تَفْسِيرُ سُورَةِ الإِخْلَاصِ

عَن أَبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ القُرْآنِ**»، قالُوا: وكيفَ يقرأُ ثُلُثَ القرآنِ؟ قالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ **تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ**». رواه مسلمٌ.

وعن أُبَيِّ بنِ كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ المشرِكينَ قالُوا لرسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْسُبْ لنَا ربَّكَ؟، فأَنزلَ اللهُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾. رواه التِّرمذيُّ وغيرُه، وهو حديثٌ حسنٌ.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾ [الإخلاص].

لَمَّا كانَ الدِّينُ مبنيًّا علىٰ الإخلاصِ؛ أَخلَصَ اللهُ هذهِ السُّورةَ لنفسِهِ، آمِرًا رَسولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُبلِّغَ عنهُ فقَالَ لهُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾؛ أي قلْ أيُّها الرَّسولُ مبلِّغًا: إنَّ اللهَ هُوَ الأَحَدُ المُنفرِدُ بالكَمالِ، المُتفرِّدُ بالأُلوهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ والأسماءِ والصِّفاتِ، فلا يُشاركهُ أحدٌ فيهَا.

وأنَّه هوَ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾؛ أَيِ السَّيِّدُ الكامِلُ المَقصودُ فِي قَضاءِ الحَوائجِ، فالخَلْقُ مُفتقِرُونَ إليهِ، وهُو مُستغْنٍ عنهمْ، ومِن كَمالهِ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣﴾،

فَلَيسَ لهُ وَلدٌ ولَا وَالِدٌ، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾، فَلَا يُكَافِئُهُ أَحدٌ فِي ذاتِه، ولَا فِي أَسْمَائِه، ولَا فِي صِفاتِه، ولَا فِي أَفعالِه، تَبَارَكَ وتَعالَىٰ.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ذكرَ المُصَنِّفُ - وفَّقه الله - فِي هذهِ الجُملةِ (**تَفْسِيرَ سُورَةِ الإِخْلَاصِ**).

وابتدأَ تفسيرَهُ بذِكرِ مَا يَتعلَّقُ بِفضلِهَا وَفْقَ ما تَقدَّمَ بيانُهُ، فذكرَ حَدِيثين:

فالحديثُ الأوَّلُ: (عَن أَبي الدَّرداءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنِ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ...**»). الحديثَ.

ودِلالَتُهُ علَىٰ فضلِ «سُورةِ الإخلاصِ»: فِي قولِهِ: («﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١**﴾ **تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ**»).

وأَحسنُ ما قِيلَ فِي بَيَانِ التَّثْلِيثِ: أَنَّ القرآنَ ثلاثةُ أثْلَاثٍ:

- **أحدُهَا**: الخبَرُ عنِ اللهِ.
- **وثانِيهَا**: الخبَرُ عمَّا يجِبُ علىٰ العبدِ من الأمرِ والنَّهي.
- **وثالثُهَا**: الخبَرُ عنِ الجَزاءِ أَجرًا وعقابًا.

وهذهِ السُّورةُ فِي القِسمِ الأوَّلِ؛ فَهيَ فِي الخَبَرِ عنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

والحَديثُ الثَّانِي: (عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ المشرِكِينَ قالُوا لرسولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:...) الحديثَ. (رواه التِّرمذيُّ وغيرُه، وهو حديثٌ حسنٌ).

ودِلالَتُهُ علَىٰ فضلِ «سُورةِ الإخلاصِ»: مَا فيهَا مِن بَيَانِ وَحْدَانيَّةِ اللهِ، الَّتي تَدلُّ علىٰ كمالِه الَّذي يُبَايِنُ بِهِ الخلقَ فِي النِّسبةِ إِلَىٰ الآباءِ.

ثُمَّ ذكرَ **تفسيرَ هذهِ السُّورةِ**، فقالَ: (لَمَّا كانَ الدِّينُ مبنيًّا علىٰ الإخلاصِ؛ أَخلصَ اللهُ هذهِ السُّورةَ لنفسِهِ)، فتَخْلِيصُهُ السُّورَةَ فِي نَفسِهِ تَنْويهٌ بالإخلَاصِ الَّذي أمَرَ بِهِ.

قالَ: (آمِرًا رَسولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُبلِّغَ عنهُ فَقالَ لهُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾؛ أي قلْ أيُّهَا الرَّسولُ مبلِّغًا: إنَّ اللهَ هُوَ الأَحدُ المُنفرِدُ بالكَمالِ، المُتفرِّدُ بالأُلوهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ والأسماءِ والصِّفاتِ، فلا يُشارِكهُ أحدٌ فيهَا).

والخبَرُ عَنِ الأوَامِرِ الإلهيَّةِ للرَّسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقولِنَا: (أيُّهَا الرَّسولُ) فِي نحوِ قولِهِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾؛ (أي قلْ أيُّهَا الرَّسولُ)، وفي نحوِ قولِهِ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [هود:١١٤]؛ (فَأَقِمْ أيُّهَا الرَّسولُ الصَّلاةَ) أو (أيُّهَا النَّبيُّ) = أحسنُ مِنَ الشَّائعِ فِي كُتُبِ المُفسِّرينَ مِن قولِهِمْ: (قُلْ يَا مُحمَّدُ)؛ لأنَّ المَأْمورَ بِهِ هُو الخَبرُ عنهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالوَصفِ الكَاملِ منَ العُبوديَّةِ والرِّسالةِ، وَأشَارَ إِلَىٰ هذهِ النُّكْتَةِ العَلَّامةُ عبدُ الحميدِ بنُ باديسَ فِي آخرِ «تفسيرِهِ»، واعْتَذَرَ عمَّا بدرَ منهُ في أوَّلِ التَّفسيرِ من جَريانِهِ وَفقَ المَشْهُورِ عندَ المُفسِّرينَ.

فالأكملُ فِي الأَدَبِ: أنْ يُؤتَىٰ في مثلِ هذهِ المَوَاضعِ بقولِ: (يَا أيُّهَا الرَّسولُ) أو (يَا أيُّهَا النَّبيُّ)، لَا بِقولِ: (يَا مُحمَّد)؛ فإنَّنَا نُخبِرُ عنهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفسيرًا لأمرِ اللهِ لهُ بالأكملِ.

ثمَّ قالَ: (وأنَّه هوَ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ②﴾؛ أي السَّيِّدُ الكَامِلُ المَقصودُ فِي قَضاءِ الحَوائجِ، فالخَلقُ مُفتقِرُونَ إليهِ، وهُو مُستغنٍ عنهمْ)؛ **فَصَمَدَانِيَّةُ اللهِ تَجمعُ أمرينِ**:

- **أحدُهمَا**: كَمالُهُ فِي نفسِهِ، فَهُوَ السَّيِّدُ الكَامِلُ.
- **والآخرُ**: افتِقَارُ الخلقِ إليهِ؛ فهُوَ مَقصُودُهُمُ الَّذي يَتوَجَّهونَ إلَيهِ في قَضَاءِ الحَوَائجِ.

ثُمَّ قالَ: (ومِن كَمَالِهِ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾، فَلَيسَ لهُ وَلدٌ ولَا وَالِدٌ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾، فَلَا يُكَافِئُهُ أَحَدٌ فِي ذاتِه، ولَا فِي أَسْمَائِه، ولَا فِي صِفاتِه، ولَا فِي أَفعالِه، تَبَارَكَ وتَعالَىٰ)؛ لأنَّ حقيقةَ الوَحدانيَّةِ أنْ يكونَ سبحانَهُ واحِدًا فِي ذاتِهِ، واحِدًا فِي أسمائِهِ، واحِدًا فِي صفاتِهِ، واحِدًا فِي أفعالِهِ.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الفَلَقِ

عَن عُقبةَ بنِ عامرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَـرَ آيَاتٍ أُنْزِلَـتِ اللَّيْلَـةَ؛ لَـمْ يُـرَ مِـثْلُهُنَّ قَـطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾». رواه مسلمٌ.

ومَعنَىٰ «لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ»: فِي الاسْتعاذةِ بهنَّ.

وكانَ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أَوىٰ إِلىٰ فراشِهِ كُلَّ ليلةٍ جمعَ كفَّيهِ ثـمَّ نفثَ فِيهمَا بالإخلَاصِ والمُعَوِّذتينِ، ثمَّ يَمسَحُ بِهمَا مَا استطاعَ مِنْ جَسدِهِ: يَبدأُ بِهِمَا عَلَىٰ رَأْسِهِ ووجهِهِ، وما أَقبلَ مِن جسدِهِ، يَفعلُ ذَلك ثلاثَ مرَّاتٍ. رواه البُخاريُّ.

وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اشتكَىٰ يقرأُ علىٰ نَفْسِهِ بالمُعوِّذاتِ وينفُثُ، ويَمسَحُ بِيَدِهِ، وإِذَا مَرِضَ أَحدٌ مِنْ أهلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِهَا. مُتَّفقٌ عليهِ.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾ [الفلق].

أمرَ اللهُ الرَّسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُورةِ الإخلاصِ أنْ يقولَ مُبلِّغًا، وأمرَهُ في سُورةِ الفلقِ والنَّاسِ أنْ يقولَ مُتعوِّذًا، فقالَ لهُ هنَا: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾؛ أيْ ألجأُ وأعتصمُ؛ ﴿بِرَبِّ

﴿ٱلْفَلَقِ﴾ وهُوَ الصُّبحُ، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ اللهُ منَ المخلوقاتِ، وأُرِيدَ بهِ بعضُها، وهوَ كُلُّ مَخلُوقٍ فيه شرٌّ.

ثُمَّ ذكرَ بَعضَ أفرادِ المَخلُوقاتِ المُشْتَملةِ عَلَىٰ شَرٍّ، فقالَ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ وهُوَ اللَّيلُ إذا اسْتحْكَمَ ظَلَامُهُ؛ لِمَا فيهِ من انتِشَارِ الأرْواحِ الشِّرِّيرةِ، وَالحيوانَاتِ المُؤذيةِ، وعِندَ التِّرمذيِّ بسندٍ حَسَنٍ عنْ عائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نظرَ إِلىٰ القمرِ، فقالَ: «**يَا عَائِشَةُ؛ اسْتَعِيذِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ**»، فَجعَلَ القَمرَ عَلامةً لهُ.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾ وهيَ الأَنْفُسُ السَّواحرُ منَ الرِّجالِ والنِّساءِ، اللَّواتِي يَسْتَعِنَّ علَىٰ سِحرهنَّ بالنَّفخِ معَ ريقٍ لَطيفةٍ فِي العُقَدِ المَشدُودَةِ عليهِ.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وهُوَ مَن يكرهُ وُصولَ النِّعمةِ إلىٰ مَحسُودِهِ، استعاذَ منهُ إذا ثَارَ حَسَدُهُ وبَرَزَ.

وقدْ تَضَمَّنتْ هذهِ السُّورةُ الاسْتِعَاذَةَ مِنْ أَنْواعِ الشُّرورِ عُمُومًا، ومِن أُصُولِها خُصُوصًا.

قَالَ الشَّارِحُ وفّقَهُ اللهُ:

ذكرَ المُصنِّفُ - وفَّقه الله - فِي هذهِ الجُملةِ (**تَفْسِيرَ سُورَةِ الفَلَقِ**).

وابتدأَهُ بذكرِ فضلِ هذهِ السُّورةِ، وقرنَهُ بفضلِ تابعتِها وهيَ «سورةُ النَّاسِ»؛ لاجتمَاعِهِمَا فِي اسْمِ «المُعوِّذتينِ».

فذَكَرَ حديثَ (عُقبةَ بنِ عامرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ)؛ أنَّهُ (قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ...»). الحديث.

ودِلالةُ الحديثِ علىٰ فَضْلِ «المُعوِّذتين»: فِي قولِهِ: («لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ»).

ثمَّ فسَّرَ هذَا فقالَ: (ومعنَىٰ «لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ»: فِي الاسْتعاذةِ بهنَّ)، فأَكْمَلُ مَا يُسْتَعَاذُ بِهِ هُوَ قِرَاءَةُ «سورةِ الفَلقِ والنَّاسِ».

قَالَ: (وكانَ الرَّسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا أَوىٰ إِلىٰ فراشِهِ) - أي جَاءَ إلىٰ مَوضِعِ نَومِهِ باللَّيلِ - (كُلَّ لَيلةٍ)، فقِرَاءَةُ «سُورةِ الإخلاصِ» معَ «المُعوِّذتينِ» مُخْتَصَّةٌ بِنومِ اللَّيلِ.

قَالَ: (جَمعَ كفَّيهِ)؛ أي جَعَلَ إِحدَاهُمَا إِزَاءَ الأُخرَىٰ، ولَا يَجْعَلُ إِحدَاهُمَا بَاطِنَ الأُخرَىٰ، فإِنْ وَضَعَ إحدَاهُمَا فِي باطنِ الأُخرَىٰ يُسمَّىٰ (ضَمًّا).

قَالَ: (ثُمَّ نفثَ فيهما بالإخلَاصِ والمُعوِّذتينِ)؛ وَ(النَّفثُ): إخراجُ هواءٍ مع ريقٍ لطيفةٍ، فإِنْ جُرِّدَ مِنَ الرِّيقِ اللَّطِيفةِ سُمِّيَ (نَفْخًا)، فلا بدَّ مِنْ ريقٍ تخرُجُ.

و هذَا النَّفثُ يَكونُ بعدَ قراءةِ السُّوَرِ؛ لأنَّ المَقصُودَ وُصولُ بَرَكَةِ الرِّيقِ بَعدَ مُلَامَستِهِ قِرَاءَةَ الآياتِ.

قَالَ: (ثمَّ يَمسَحُ بِهِمَا مَا استطاعَ مِنْ جَسدِهِ: يَبدأُ بِهِمَا عَلَىٰ رَأْسِهِ ووجهِهِ، وما أَقبلَ مِن جسدِهِ، يَفعلُ ذَلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ)؛ فيقرأُ سُورةَ «الإخلاصِ»، ثمَّ «الفلقِ»، ثمَّ «النَّاسِ»، ثمَّ يَنفُثُ ثلاثًا، ثمَّ يُعيدُ القراءةَ، ثمَّ يَنفُثُ ثلاثًا، ثمَّ يُعيدُ القراءةَ، ثمَّ يَنفُثُ ثلاثًا.

قال: (وَكَانَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا اشتكَىٰ) - أيْ مَرِضَ - (يقرأُ علىٰ نَفْسِهِ بالمُعوِّذاتِ ويَنفُثُ، ويَمسَحُ بِيَدِهِ، وإذَا مَرِضَ أَحدٌ مِنْ أهلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِهَا. مُتَّفقٌ عليهِ).

فَفِي هذهِ الجُملةِ ثَلَاثُ فضائلَ لـ«سورةِ الفلقِ والنَّاسِ»:

- **فالفَضِيلةُ الأولَى:** أنَّهُمَا أَكْمَلُ التَّعوُّذَاتِ.
- **والفَضِيلةُ الثَّانيةُ:** اسْتِعمَالُهُمَا للحِفظِ عندَ النَّومِ باللَّيلِ.
- **والفَضِيلةُ الثَّالثةُ:** اسْتِعمَالُهُمَا في دَفعِ المَرضِ.

وهَاتَانِ السُّورَتَانِ تُسَمَّيانِ «المُعوِّذتينِ»، ويُقالُ لَهُمَا أيضًا: «المُعوِّذاتُ».

والفرقُ بَيْنَ التَّثنيةِ والجَمعِ:

- **أَنَّ التَّثْنِيَةَ** باعتِبَارِ الحَقِيقَةِ، فهذهِ سُورَةٌ، وهذهِ سُورةٌ، ومَقصُودُ كُلِّ سُورةٍ التَّعوذُ، فَهُمَا «مُعوِّذتانِ».
- **وأمَّا الجَمْعُ** فمَأْخذُهُ أمرانِ:

- **أحدُهُمَا:** باعتبارِ عَدَدِ آيَاتِهِمَا.
- **والآخَرُ:**باعتبارِ مَا فيهمَا مِنَ التَّعوُّذِ من أنَواعِ الشُّرُورِ.

ثُمَّ قَالَ فِي تَفْسيرِ«سُورةِ الفلقِ»: (أمرَ اللهُ الرَّسولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سُورةِ الإخلاصِ أنْ يقولَ مُبلِّغًا)؛ أَي فِي قَولهِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص]، فهُوَ أمرٌ للبلاغِ، (وأمرَهُ في سُورةِ الفلقِ والنَّاسِ أنْ يقُولَ مُتَعوِّذًا، فقالَ لهُ هنَا: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾؛ أيْ ألجأُ وأعتصمُ)، فـ(**الاستِعَاذَةُ**) هِيَ الالتِجاءُ والاعتصامُ.

(﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وهُوَ الصُّبحُ، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ اللهُ مِنَ المخلوقاتِ، وأُرِيدَ بهِ بعضُهَا، وهوَ كُلُّ مَخلُوقٍ فيه شرٌّ)؛ إذْ لَيسَ كلُّ مَخلُوقاتِ اللهِ فيهَا شَرٌّ؛ كالمَلَائكَةِ والجَنَّةِ، فيَكونُ قولُهُ تَعالَى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ مِنَ العَامِّ الَّذي أُريدَ بهِ الخُصُوصُ؛ فتقديرُهُ: (مِن شرِّ كلِّ مخلوقٍ فيهِ شرٌّ).

(ثُمَّ ذكرَ بَعضَ أَفرادِ المَخلُوقاتِ المُشْتَملةِ عَلَىٰ شَرٍّ، فقالَ: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾ وهُوَ اللَّيلُ إذا اسْتحْكَمَ ظَلَامُهُ؛ لِمَا فيهِ من انتِشَارِ الأرْواحِ الشِّرِّيرةِ، وَالحَيوانَاتِ المُؤذيةِ)، فـ(الغاسقُ) هُوَ اللَّيلُ، وشَاهِدُهُ في حديثِ (عائِشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا؛ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ نظرَ إلىٰ القمرِ، فقالَ: «**يَا عَائِشَةُ؛ اسْتَعِيذِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ**»، فَجَعلَ القَمرَ عَلَامةً لهُ)؛ لأنَّ ظُهُورَ القَمَرِ يَختَصُّ باللَّيلِ، فَلَيسَ مُرَادُهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ الاستعاذةُ منَ القمَرِ، لكِنْ مُرَادُهُ الاسْتِعَاذَةُ مِنْ شرِّ مَا يكُونُ فِي اللَّيلِ؛ لأَنَّهُ مَحَلُّ الشُّرورِ عَلَىٰ مَا سَبقَ بَيَانُهُ.

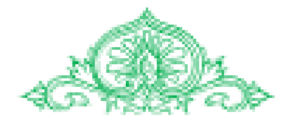
ثمَّ قالَ: (﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ وهيَ الأَنْفُسُ السَّواحرُ منَ الرِّجالِ والنِّساءِ)؛ فالتَّأنيثُ فِي قولِهِ: (﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾) بِاعْتِبَارِ الأنفُسِ، لَا بِاعْتِبَارِ اخْتِصَاصِهِ بالنِّساءِ، و**الأَنْفُسُ**: جنسٌ يشمل الرِّجال والنِّساء علىٰ حدٍّ سواء.

ثمَّ قالَ: (اللَّواتِي يَستعِنَّ علَىٰ سِحرِهنَّ) (بالنَّفخِ مَعَ رِيقٍ لَطيفةٍ في العُقَدِ المَشْدُودةِ عليهِ)؛ فالسَّواحرُ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ يَعْمَدُونَ إلىٰ نَوعٍ من أَنواعِ السِّحرِ يُقالُ لهُ: (سِحْرُ العَقْدِ) - وهو أَشَدُّهُ -، فَيَعْمَدُونَ إلىٰ عَقْدِ عُقَدٍ، ثمَّ يَسْتَعِينُونَ بالشَّيَاطِينِ فِي شَدِّهَا، ويَنْفُثُونَ أَثْنَاءَ شَدِّهَا.

قالَ: (﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ وهُوَ مَن يكرهُ وُصولَ النِّعمةِ إلىٰ مَحسُودِهِ، استعاذَ منهُ إذا ثَارَ حَسَدُهُ وبرَزَ)؛ فَقَولُهُ: (﴿إِذَا حَسَدَ﴾)؛ أَي إذَا ظَهَرَ حَسَدُهُ وَبرَزَ.

و(**الحَسَدُ**) هُوَ كَرَاهيَّةُ وصولِ النِّعمةِ، وَلَوْ لَمْ يَتَمَنَّ زَوَالَهَا؛ فمُجَرَّدُ وُجودِ الكَرَاهيَّةِ يُسَمَّىٰ (حَسَدًا)؛ ذكرَهُ ابن تيميَّةَ الحفيدُ، وصَاحِبُهُ أَبُو عبدِ اللهِ ابنِ القيِّمِ، وَالوَضْعُ اللُّغويُّ يَدُلُّ عَلَيهِ.

قالَ: (وقدْ تَضَمَّنتْ هذهِ السُّورةُ الاسْتِعَاذةَ مِنْ أَنْواعِ الشُّرورِ عُمُومًا) فِي قَولِهِ: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾، قالَ: (ومِن أُصُولهَا خُصُوصًا) فيمَا تَلَا ذٰلِكَ مِنَ الآيَاتِ.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

تَفْسِيرُ
سُورَةِ النَّاسِ

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [النَّاس].

مُسْتَهَلُّ هذِهِ السُّورةِ كَسابقتِها، فإنَّ اللهَ أمَرَ رَسُولَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يَقُولَ مُتَعوِّذًا، فَقَالَ لَهُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾؛ أي ألْجأُ وأَعْتَصِمُ، ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ وهُوَ سَيِّدُهُمُ المَالِكُ المُصْلِحُ لهُمْ، ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ ومُلْكُهُ مِنْ رُبُوبيَّتِهِ لكِنْ أُفرِدَ لِجَلَالَةِ مَوقِعِه، ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾: مَعْبُودِهِمْ بحَقٍّ؛ ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ وَهُوَ الشَّيطَانُ، ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ فَيُحَسِّنُ لَهمُ الشَّرَّ، ويُقَوِّي إِرَادَتَهُمْ لَهُ، ويُقبِّحُ لَهمُ الخيرَ ويُثَبِّطُهُمْ عَنهُ، فَإذَا اسْتعاذَ مِنهُ العَبدُ تأخَّرَ وانْدفَعَ عنهُ، فالخَنَّاسُ هوَ المُتَأَخِّرُ المُنْدَفِعُ إذَا ذَكَرَ العَبْدُ ربَّهُ واسْتَعَاذَ بِهِ فِي دَفْعِهِ، ومَحَلُّ وَسْوَسَتِهِ: صُدُورُ الخَلْقِ ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

تمَّ بحَمْدِ اللهِ

ضَحْوَةَ السَّبتِ في السَّادسِ عشرَ منْ ذي الحجَّة

سنةَ اثْنَتَينِ وثلاثينَ وأربعمائةٍ وألفٍ

قَال الشَّارحُ وفَّقَه اللهُ:

خَتَمَ المُصَنِّفُ - وفَّقَهُ اللهُ - هذهِ النُّبذَةَ المُيَسَّرةَ بِـ(**تَفْسِير سُورَةِ النَّاسِ**)، فقَالَ: (مُسْتَهَلُّ هذِهِ السُّورةِ كَسَابقتِهَا) - أي الفلقِ - (فإِنَّ اللهَ أمَرَ رَسُولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يَقُولَ مُتعوِّذًا، فقَالَ لَهُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾؛ أي ألْجَأُ وأَعْتَصِمُ)، علَىٰ ما تقدَّمَ مِن أنَّ (**الاستعاذَة**) هيَ الالتجاءُ والاعتِصَامُ.

(﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ وهُوَ سَيِّدُهُمُ المَالكُ المُصْلِحُ لهُمْ)، وَفْقَ مَا ذكرنَاهُ مِن مَعانِي (الرَّبِّ) فِي لِسَانِ العَرَبِ.

(﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ ومُلْكُهُ مِنْ رُبُوبيَّتِهِ)؛ فَقَوْلُهُ: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ يَندَرِجُ فيهِ مُلكُ اللهِ، لكِنْ أُفرِدَ المُلكُ، كَمَا قالَ: (لكِنْ أُفرِدَ لِجَلَالةِ موقِعِه)، فَإِنَّ المُلْكَ مِنْ أعظمِ مَشَاهِدِ الرُّبُوبيَّةِ.

وأَعْظَمُ مَشَاهِدِ الرُّبوبيَّةِ فِي القُرآنِ أَربعةٌ:

- **أَوَّلُهَا**: المُلْكُ.
- **وثَانِيهَا**: الخَلْقُ.
- **وثالثُهَا**: الرِّزْقُ.
- **ورَابِعُهَا**: (**الأمرُ**)؛ وهُوَ تَدبيرُ الشُّؤُونِ وتَصْريفُهَا.

قَالَ: (﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾: مَعْبُودِهِمْ بحَقٍّ؛ ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ وَهُوَ الشَّيطَانُ)، فإِنَّهُ المُختَصُّ بالوَسْوسَةِ، **والمُرادُ بِهِ هُنَا**: الشَّيطانُ الجِنِّيُّ، فإِنَّ الشَّيطانَ الإنسيَّ لَا يُوسْوِسُ؛ فالوَسْوَسَةُ فِي الباطنِ، والشَّيطانُ الإنسيُّ يكونُ فِي الظَّاهرِ، فإِلقَاؤُهُ يُسمَّىٰ (وَشْوَشَةً).

فإلقَاءُ الشَّيَاطِينِ نَوْعَانِ:

- **أحدُهُمَا: إلقاءُ الشَّيْطانِ الجِنِّيِّ**، وهُوَ باطنٌ، و يُسمَّىٰ(وَسْوَسَةً).
- **والآخَر: إلقاءُ الشَّيْطانِ الإنسيِّ**، وهُوَ ظَاهرٌ، ويُسمَّىٰ (وَشْوَشَةً).

قالَ: (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ فيُحَسِّنُ لَهمُ الشَّرَّ، ويُقَوِّي إِرَادَتَهُمْ لَهُ، ويُقبِّحُ لَهمُ الخيرَ ويُثَبِّطُهُمْ عَنهُ)؛ فَـ(**الوَسْوَسَةُ**) هِيَ تَحْسِينُ الشَّرِّ وتَقْوِيَةُ إِرَادتِهِ، وتَقبيحُ الخَيرِ والتَّثبيطُ عَنهُ.

وَ(**التَّثبيطُ**) هُوَ التَّخذِيلُ.

قالَ: (فَإِذَا اسْتعاذَ مِنهُ العَبدُ تأخَّرَ) - أي رَجَعَ - (وانْدَفَعَ عنهُ، فالخَنَّاسُ هوَ المُتَأَخِّرُ المُنْدَفِعُ إذَا ذَكَرَ العَبْدُ ربَّهُ واسْتَعَاذَ بِهِ فِي دَفْعِهِ).

ثُمَّ قالَ: (ومَحَلُّ وَسْوَسَتِهِ: صُدُورُ الخَلْقِ ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾)، فَالشَّيطَانُ الجِنِّيُّ يُوسْوِسُ فِي صُدورِ الخَلقِ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ؛ **وَالنَّاسُ**: اسمٌ يشملُ الإنسَ والجِنَّ - فِي أَصَحِّ قَولَيْ أهلِ العَرَبيَّةِ -؛ لأنَّهُ مِنَ (**النَّوْسِ**)، وهو الحَرَكَةُ والاضْطِرابُ، وهُوَ وَصْفٌ مَوجُودٌ في الإنسِ والجِنِّ.

وَبِهَذَا نكونُ قدْ فَرَغْنَا بحَمْدِ اللهِ مِنَ الكِتَابِ الثَّانِي، والحمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمينَ، وصَلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ علىٰ عبْدِهِ ورسُولِهِ مُحمَّدٍ، وآلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعينَ.

تَمَّ الشَّرْحُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ
بعد عصر الجمعةِ الخامس من شهر ذي الحجَّة
سنةَ ستٍّ وثلاثين وأربعمائةٍ وألفٍ
في مسجد الشَّيخ ابن بازٍ بمكَّة المكرَّمةِ

